fb/mashro3pdf

حائط غاندي

مجموعة قصصية

fb/mashro3pdf

حائط غاندي

قصص

تأليف :

عزة رشاد

تصميم الغلاف:

عبد الرحمن الصواف

مراجعة لغوية:

محمد حمدي

رقم الإيداع : 2016/25582

الترقيم الدولي: 978-977-820-009-6

إشراف عام:

محمد جميل صبري

نيفين التهامي

***

كيان للنشر والتوزيع

٢٢ ش الشهيد الحي بجوار مترو ضواحي الجيزة - الهرم

هاتف أرضي: 0235611772 -0235688678

هاتف محمول: 01005248794-01000405450-01001872290

بريد إلكتروني: info@kayanpublishing.com - kayanpub@gmail.com

الموقع الرسمي : www.kayanpublishing.com

©جميعُ الحقوقِ محفوظةٌ، وأيُ اقتباسٍ أو إعادةِ طبعٍ أو نشرٍ في أي صورةٍ كانتْ ورقيةً أو الكترونيةً أو بأيةِ وسيلةٍ سمعيةٍ أو بصريةٍ دون إذنٍ كتابي من الناشر، يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

fb/mashro3pdf

حائط غاندي

عزة رشاد

مجموعة قصصية

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

رسائل بظهر الغيب

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

منح الأديب «يحيى حقي» بطله لمصلحة البريد التي حمَّلته الأمانة في حقيبة صغيرة، يُعلِّقها على كتفه ويجوب بركوبته القرى والكفور، يوزع أظرفًا مغلقة، لكن بمجرد تسليمها للمرسل إليه، يدرك «البوسطجي» من ملامحه وأفعاله ما كان يحمله له: هناك جوابات تُفرح الناس، وأخرى تفعل العكس، يتنهد البوسطجي وربما يتفكه بما على الأظرف المتبقية من أغلاط الإملاء والعناوين متمتمًا: الحقيبة أكبر من حجمها، الحقيبة مستودع أسرار...

داخل المحل ذي الفترينات الزجاجية الوثيرة توقفت يد الشابة العشرينية عند حقيبة نسائية بيضاء، تحب اللون الأبيض كما يريحها أنه لا يستلزم ثيابًا شديدة التحديد، راعت حجم وعدد الجيوب والثنيات، إضافة إلى شرطها الخاص: جيب سري لا يمكن لأحدهم اكتشافه، صغير يكفي لشريط الحبوب، أما الواقي الذَكري فلم تعد تبتاعه، اشترطت أن يكون على «الزبون». تدفع الثمن وتستلم حقيبتها وتخرج، تجفل من صوت فرامل سيارة مفاجئة عند عبورها الشارع فتغمض عينيها..

يفتح غاندي «مخلاته» ويطيِّر حمامة، ظلت شريدة سنوات قبل أن تجد من يستقبل رسالتها، صار هو خلال هذه الفترة مريضًا بالفشل الكُلوي والهزال، لإضرابه عن الطعام بعدما فشل العصيان المدني أن يؤتي ثماره.

fb/mashro3pdf

مخلاة غاندي لا تختلف كثيراً عن «بقجة الدمّور» تحملها المرأة الأربعينية بيد وبالأخرى تمسك بيد ابنتها أم ضفيرتين طويلتين، وتقطعان طريقًا رفيعًا بين الغيطان في غبشة الفجر، تنبههما لسعات الهاموش والعث، تتنشقان الندى ممزوجًا برائحة الروث في المشوار المرهق، وإفطار «العيش المُلدن والجبن القريش» يُهضم في أثناء الطريق الذي ينتهي بافتراقهما عند باب المدرسة؛ وعندما تخرج البنت من هذا الباب ظهرًا ستجد بقجة الدمور على الباب في انتظارها، ويد أمها ممدودة ككل يوم: منديل يا حاجة، منديل يا حاج.

حقيبة جوته الممتلئة بخطابات الغرام لا تناسب زماننا، بل هي متهمة بالغش، ليس غش جوته في روايات خيالية تعتصر دموع العشاق، بل غش النفس لأنه لم يعد هناك من يستحق. هذا ما أخذ يفكر به الشاب أبو نظارات طبية سميكة مردداً:

- ده زمن نيرون. لكن أبدًا ليس زمن جوته.

اعتصر نفسه لسنوات في الكتابة ثم أعادت له حبيبته أشعاره وخطابات غرامه مذيلة بنقطة النهاية، يخرج صورهما المشتركة من حقيبته الصغيرة ويمزقها ويرميها تحت قدميه، فيصرخ الشيخ الجالس على المقعد المقابل له بالمنتزه:

- حرام تكسر الورد.

ينظر الشاب للصوت فيرى الشيخ يسد أذنيه بيديه متألمًا:

fb/mashro3pdf

-أما تسمع صرخاته!

يحدق الشاب إلى مزق الأوراق بيده ويمصمص شفتيه متعجبًا:

-الكِبر عِبر صحيح.

مع شقشقة كل صباح ينهض الشيخ من فراشه ويعبئ الحقيبة بالسندوتشات والحلوى التي يحبها حفيده، وعندما رفع صوته وقال إنه خدع الله مِرارًا بنوايا توبة زائفة، ابتسم الحفيد فظهرت غمَّازة الحُسن على خده وقال:

-عفريت يا جدو. عفريت.

أما البنت أم ضفيرتين طويلتين التي تتلقف السندوتشات من الولد أبي شامة حُسن، وتركض بين صفوف مقاعد المنتزه لتعطي نصفها لأمها السارحة بمناديل بقجة الدمور، فلم تعبأ بالجد «الشيخ» ولا بكلماته.

تدلت الحقيبة البيضاء من على المقعد المجاور، عندما سمعت الشيخ يؤكد أن الله كان يصدق توبته كل مرة وينقذه من مصائب جمة، جذبتها الشابة في اللحظة الأخيرة قبل أن تهوي، وسَرحتْ متذكرة دعاء أمها كل يوم وهي تراها تملأ حقيبتها بالأوراق والماكياج والأمشاط:

-عقبال ما تمليها حفاضات وكوافيل.

fb/mashro3pdf

أحقا؟ أتعني هذا حقا؟

تدعو بإخلاص؟ تظنني سأتزوج مثل أي واحدة؟

مررت أناملها فوق موضع الجيب السري وتمتمت بدعاء وهي تتابع ركض الأطفال، حك الشيخ بين فخذيه وبدا متأملًا، ثم قلب الحقيبة فجأة فهوت بقايا السندوتشات على الأرض، فهمس كأنه لا يريد أن يسمعه أحد: دي كلها ذنوب.

اقترب الولد يلملم بقايا وجبته المُغبرة ويجري، بينما الشيخ يشنهف بدموعه كلمات عن ندمه لأنه لم يكف عن خداع الله. وراح يهز الحقيبة ليتخلص مما تبقى فيها، ويدعو الله أن يتوقف عن دعمه حتى لا تثقل كفته الداكنة، توقف الشاب أبو نظارات عن تمزيق رسائله ضاربًا كفًا بكف، ثم نهض واقترب من الشيخ يربت كتفيه بحنان، فالتقت عيناه في تلك اللحظة بعيني الشابة الممسكة بحقيبتها البيضاء، ابتسم لها، فيما كانت تتمنى في نفس اللحظة ألا يأتي الزبون وأن يستجيب الله لدعاء أمها. وكانت سيدة المناديل الورقية ما زالت تدور، فيما توقف بوسطجي يحيى حقي في مكان وزمان بعيد وفتح الرسائل لتسرية الوقت، لكنه عجز عن إغلاقها فاشتبكت الحكايات وتداخلت المصائر.

أغلق المنتزه الآن لأن هناك من تسلل ووضع بين صفوف المقاعد الخشبية حقيبة «نيرون». كان بداخلها قنبلة منزلية الصنع حسب خبراء المتفجرات. وجدوا بجوار الأشلاء بقايا

fb/mashro3pdf

بقجة دمور، وعدسات طبية سميكة، وشريط من حبوب منع الحمل، وورد دهسته الأقدام.

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

عراء

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

ببيجامتك الخفيفة تقفين بينهما، طولكِ لا يزيد كثيراً على ارتفاع الكرسي الذي يجلس عليه كلٌ منهما مرتديًا الروب الصوفي الثقيل الذي ينسدل حتى يصل إلى الأرض مغطيًا القدمين. واقفة أنتِ بين الكرسيين المتقابلين تستقبلين تراشق الكلمات منها إليه ومنه إليها:

- انزلي قولي للبواب يجيب المأذون.

- لأ ماتنزليش.

تميلين للرأي الأول وتتفتق بداخلك بذرة حسٍ ميلودرامي، عن صبية معذبة وضائعة بين رجل وامرأة شاءت الظروف أن يكونا أمكِ وأبيكِ، لكن قدميك متجمدتان على البلاط، ولا يلاحظ أي منهما أنكِ حافية أو أنكِ بحاجة إلى عناق.

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

قبعة وبدائل أخرى

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

قالت لكِ نفسك: بيدك أفضل من أن يكون بيد «عمرو»، تفكرين في الأمر، وفي «عمرو»، وعلى الفور تحضرين المقص المناسب وتأخذين شهيقًا عميقًا، عدة مرات، كي تستجمعي شجاعتك وتقومي بهذه الخطوة، ثم شهيقًا آخر كي تركزي ذكاءك وتنجحي في استخلاص شيء طريف من هذا الموقف، شيء يُهون المفاجأة على أهلك، مثلاً كمديح النجمة «ناتالي بورتمان» على أدائها المذهل في فيلم: V for Vendetta

أو كإعداد خطبة عصماء لمهاجمة الفكر الرجعي الذي ربط الأنوثة بأشياء تافهة مثل: نعومة الصوت، ونحولة الخصر، والشعر الطويل الذي أتحفنا «عبد الحليم حافظ» بمغازلته:

في موجة عبير بالشعر الحرير

ع الخدود يهفهف ويرجع يطير

قد يحلو لكِ التمحك في النسوية كفلسفة تستهدف العدالة وتطيح بالفروق الثانوية، أو حتى بالهيبية... إلخ، لكنك ستتجنبين استعراض ما يتداعى بذهنك من ذكريات، لأنها ليست مُشوقة، أو للصدق، ليست مُشرِّفة، مثل أبلة نادية التي كانت تقوم في أثناء فقرات الإذاعة المدرسية في طابور الصباح بالتفتيش على نظافة الثياب وقص الأظفار، ثم تتلهى بتفلية رؤوس البنات عسى أن تفوز بقملة سارحة هنا أو هناك، وتفشل كل محاولات

fb/mashro3pdf

التهرب من تفليتها بالوقوف في آخر الطابور، أو ادِّعاء الإصابة بمغص مفاجئ، ومثل ذكرى المقلب الذي سببه الكوافير يوم زفافك عندما شد شعرك على بوكلات من أسلاك شرسة، فلم تفلح محاولاتك لفرد الشعر بعدها، وظل مبرومًا ومنكمشًا نحو فروة الرأس وكرس في الصور التذكارية عروسًا مهملة أو غبية، ثم ذكرى المخبر الذي جذب بكل قوته خصلة شعرك حتى رقعتِ بالصوت، فاعتمِد منذئذٍ شدُّ الشعر كأسلوب ناجع لفض تظاهرات البنات.

يكفي إذن استعراض فضائل الارتياح من غسيل الشعر وتسريحه والاعتناء به، أو استعراض الخصلات بفخر وأخذ صور تذكارية معها «قبل التخلص منها»، وطرح المهام الجديدة: الاعتناء بالجلد: كريم من أجل فروة الرأس وغطاء لتجنب البرد، خفيفٌ في البيت - ربما ستكون «طاقية مكة» الخاصة بأبيكِ كافية، خفيفة وحنونًا وبها فجوة عقب كل غرزة تسمح بتنفس الجلد - وآخر ثقيل لأجل الخروج: قبعة من الموهير أو الصوف مثلاً، سيكون ضروريًا أن تشتري عدة قبعات تناسب ألوان الثياب: أسود، بُني، كُحلي، وستعتادينها، ربما البُنية تتآلف مع لون بشرتك أكثر من الأخريات، ربما وردتها الجانبية تمنحك بعض الوقت «بالتحجج بضبط تفتح الوريقات» لتفكري أو لترتبي أفكارك في أي لقاء أو عمل، ربما تتظاهرين بأنك مشغولة بضبطها ريثما يعبر من لا ترغبين في مصافحتهم، ستمنحك الفرصة لزحلقة من لا تحبينهم، وستُعبرين لها عن

fb/mashro3pdf

امتنانك بضغطة ذات مغزى، هي أيضا ستتأثر بهذا التقدير وستفاجئك بمبادرات لا تتوقعينها، كأن تتمايل مع اتجاه الكاميرا لتمنح وجهك في الصور استدارة تفوق الواقع بكثير، تفوق ما بإمكان شعرك في أفضل حالاته وتسريحاته أن يفعل، وكأن تنزلق فوق أذنيك في اللحظة المناسبة لتجنبك سماع كلمات الرثاء من أصدقائك «الأذكياء!»، وإذا ما مررتِ بلحظات صعبة وغلبتكِ دموعكِ، فستجدينها هي الأخرى مبللة، مع أن مسار دمعك يتعذر وصوله إليها، فتتساءلين: أحقا شاطرتني البكاء؟! ومن أين تأتي دموعها؟ ولهذا فستحبينها وتعتادينها لدرجة عدم الاستغناء عنها حتى لو.. لو عاد الشعر مجددًا بعد الانتهاء من العلاج.

«سيعود الشعر» أكدوا لكِ، ولكن حتى لو.. لو لم يعد «حدثتِ نفسكِ» فيكفي الارتباك الذي سيصيب المخبر لدى رؤيته للقبعة، ويده التي ستتجمد قبلها، لأن نزع غطاء رأس امرأة يعتبر من الكبائر في بلادنا، ما سيعطيكِ الفرصة للمبادرة بتسديد لكمة قوية له ثم تولين هاربة، أما في حال حدوث ما يمنعك من المشاركة بالتظاهرة فستقوم قبعتك بتنبيهك لكي تفتحي عينيكِ وتتابعا «أنتِ وهي» سير التظاهرة من شاشة العرض الكبيرة بالمستشفى.. الشاشة التي تشبه الحياة تمامًا.

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

غبار

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

ذكروا أن امرأة تنتعل القبقاب العالي، تهوى التجسس بالنظر من ثقب الباب وترفض أن تلضم «خيطًا في إبرة» أو ترفع جَرَّة ماء عن الأرض وعندما انتقدوها:

- ما تخلي ف عينك حصوة ملح يا مَرة.

ردت باستنكار:

- أنا سيدة القصر يا ولاد الكلب. انحنوا عند قدميّ.

جالتْ الأسواق ثم ارتقتْ المولات، وخاضتْ مسابقات الجمال ونظرتْ بتحدٍ في أعين كل الرجال، وعندما وضعوا صورتها على «فيسبوك» نالت ملايين اللايكات والمشاركات، ثم اكتشفتْ فوتوشوبات تستغل حُسنها بتحريفات تصويرية وتعليقات سخيفة ونوايا عدوانية، ولهذا التفتت تشوح بسبابتها:

-موتوا بغيظكم يا أوغاد. لا يمكنكم قتلي لأني ميتة أصلاً. لستُ شهرزاد التي تحيك الحيلة إثرَ الأخرى كي تضيف لحياتها يوما، بل أنا ابنة الموت، بل أنا الموت الذي لا يمكنكم الفرار منه، سأدفنكم جميعا بيدي. أنا السلطانة «شجرة الدر»؛ سأنتقم لكل امرأة ضربها زوج «ركوبته أكثر رجولة منه»، لكل بنت تحرش بها أوغاد «الذباب أنظف منهم".

نجح لسانها السليط، أكثر من الكلاب الثلاثة التي تتبعها

fb/mashro3pdf

كظلها، في تطفيش الفضوليين، ولكن يبدو أن حصاة قاسية تدحرجتْ تحت فردة قبقابها فكادت السلطانة تنزلق أرضًا «زرع بصل» لولا ساعدي الذي كان في خدمتها - بالطبع لم تكن مصادفة فمنذ علمتُ بوصولها وأنا أحوم حولها، أمنّي نفسي بتحقيق صحفي مبتكر يضعني في المكان الذي أستحقه - أجلستها على أقرب مقعد حجري في شارع صلاح سالم حيث التقينا، وبأناقة انحنيتُ احترامًا:

- وهل يخفى القمر يا صاحبة الجلالة!

ولهذا لم ترفض دعوتي لتناول الشاي في أحد مقاهي «الحُسين» وبعد الصلاة على النبي والثناء على آل البيت استجمعتُ شجاعتي وبادرتُها: لكن المكتوب يقول إن بنات جنسك هن من قتلنكِ.

أقرّ لساني بأنها هي بالفعل شجرة الدر، ليس فقط بسبب الثوب المرصع باللالئ الذي يجعلها تبدو شجرة من اللؤلؤ، ولا لكونها تحمل نفس الملامح الدقيقة المتعالية تمامًا كما في الصورة، كما تحمل نفس الذكاء الاستثنائي وخفة الروح وسرعة البديهة، وإنما أيضًا لفرادةٍ في طريقتها في الكلام والضحك والتطلُّع والتصرف لا تنتمي لعصرنا. انتبهتُ على صوتها يرد:

- لا تصدق. فمن قتلني هو كل رجل استكثر عليّ حِكمتي وبراعتي في الحكم وإدارة شؤون الرعية.

fb/mashro3pdf

استوقفتُها:

- وماذا عن نساء القباقيب؟ أجابتْ دونما اكتراث:

- جـواري جاريـة «وإن تـكُ حـرة». قبلـت أن يتـزوج زوجهـا بغيرهـا «يأتيها بـضُرّة»، أما أنـا فلـم أقبـل. هـذا هـو الفـرق بينـي وبينهـا، لكنـي أسـامحها عـلى أي حـال، فهـي في النهايـة ضحيـة مـن حرضوهـا عـليّ، ومـن قبلهـم هـي ضحيـة مـن جعلـوا الضعـف والهـوان يقـران في نفسـها حـد أنهـا تقتـل وفـاء لـزوج لم يكـن وفيًـا لهـا ولا ليـوم واحـد.

بـرزت شـفتاها وهـي تسـتطرد بمـرارة: كلهـم لم يكونـوا أوفيـاء. اسـألني أنـا.

أعقبـت كلامهـا بضحكـة طويلـة مغموسـة في المـرارة، ضحكـة امـرأة تعـرف أكـثر مـما تقـول.

- لكن أيضًا.. كان.. ثمة تظاهرات شعبية.

- لمَ يتظاهـر ضـدي البسـطاء الذيـن احترمتهـم وأغدقـت عليهم؟! أما تتسـاءل؟! ثـم مـاذا يهمهـم أن يحكمهـم رجـل أو امـرأة، خاصـة لـو حققـت هـذه المـرأة مـن العـدل مـا عجـز عنـه الرجـال عنه؟

عـلى الفـور ظهـر شـيخ هزيـل محنـي الظهـر يحتضـن عُـدة «تلميـع الأحذيـة»، ألقاهـا عـلى الأرض واقـترب يركـع عنـد طـرف ثوبهـا:

fb/mashro3pdf

- السلطانة والختمة الشريفة خيرها وجمايلها عليّ من ساسي لراسي.

صرفَته بإشارة من طرف بنانها، ثم ضغطتْ أزرار هاتفها الجوال وبحثتْ، ضغطتْ حتى وضعتْ بين يدي الصور..

- انظر لهذه المجموعة. أما تراهم يتكتّلون كل مرة للنيل من أحد الشرفاء؟

تمعنت بوجوههم فقالت:

- لا ينتمون لثورتكم. فهؤلاء مأجورون. بلطجية وخريجو سجون.

لمحتُ أحدهم يسرق حذاء من على باب المسجد في أحد الفيديوهات. حركت الماوس وأتتني بصورة تظهر أحدهم يتحدث لأحد الكبراء. قالت:

- هذه شوارعكم. زمنكم. وهو نفس ما حدث في زمني. أصحاب المصالح والمولعون بالسلطة أتوا بالعبيد والغلمان والمساجين وزعموا أنها تظاهرات شعبية.

تحيرتُ في نفسي فيمن تقصد: توران شاه؟ أيبك؟ أقطاي؟ أسماء كثيرة أخرى أقل شهرة تقاسموا كلهم تلك المطامع والصراعات وإراقة الدماء.. حيرتني عيناها أكثر.. هل أصدقهما وأكذب المكتوب؟

fb/mashro3pdf

أفقتُ من أفكاري فوجدتها قد اختفتْ، فقط تعثَّرتْ قدمي في لؤلؤة سقطتْ من ثوبها فالتقطتها ورحتُ أفركها في راحة يدي، ثم خبأتُها في أحد الكتب القديمة التي تُدون تاريخ تلك الفترة.

في اليوم التالي وجدتُها «بكامل تفاصيلها» في أحد المقاهي، مغمورة بإعجاب الكثيرين، سلطانة بحق، لكنها بدت قلقة، متعجلة، كأنها على موعد. فاجأتُها:

- وماذا عنكِ يا سلطانة؟ تبغين الانتقام من «الرجال» مبتكري المؤامرات والحروب فيما أنتِ تقلدينهم. أما افتتنتِ بالقوة، بالسلطة، بالمجد؟

لم تجب إلا بكلمة واحدة:

- قَط. كلهم سراب.. غبار.

بدتْ في صمتها مسكونة بحزنٍ مكين... فكرتُ أن أخفف عنها، فالتفتُّ لآتيها بمطبوعة مُصورة لتسليها، لكنها في لحظة كانت قد اختفتْ.

لأيام أبحث عنها، وما أن هللتُ عندما اكتشفتُ صفحة لها على فيسبوك حتى فاجأتني واتخذت ضدي إجراء متعسفًا «بلوك» ثم أغلقتْ كل الصفحات، واختفت بنفس البساطة التي ظهرت بها، بل إنني عندما سألت عنها اتهمني أحدهم بالجنون، وهتف آخر:

fb/mashro3pdf

- مجنون من يسأل عن مجنونة.

ندمتُ، لأني تسرعت، ربما كان الأفضل ألا أجرحها.. حسبتُ اختفاءها سيمنحني الشجاعة لكي أكتشف منظوري الخاص، لكني ظللت مشتتًا، بين الخوف منها وافتقادها وافتقاد الثقة بكل ما يخصها.

- لا أعرف كيف أضعتك يا صاحبة السمو. أسمعني أحدثها في نومي فتهمس بمرارة:

- ظلمتني.

تغلق الباب على حلمي وتمضي.

فاتتْ عدة شهور منذ اختفتْ، فقط بالأمس ذكروا أن امرأة لا تنتمي لعصرنا، تحيطها هالة مضيئة، ظهرتْ في «صلاح سالم»، تحرسها ثلاثة كلاب، ثم انتقلتْ إلى وسط البلد حيث كادت تختنق من الحر والزحام، فصاحت:

- أفسحوا لي يا أبنائي.. أنا سيدة العالمين.. أنا مريم العذراء.

فتحتُ باب الشقة، قادتني قدماي صوب المكتبة. هناك تذكرت لؤلؤتها، التقطتُ الكتاب وفتحته، فوجدتُ الكلمات في كل الصفحات قد انمحتْ، واللؤلؤة لم يتبقَ منها سوى ذرات غبار.

fb/mashro3pdf

حكاية لوحة

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

من بين اللوحات الفنية الكثيرة التي تفتنني تبقى للجوكندا مكانة خاصة لديّ، إلا أن «العشاء الأخير» هي التي فيما يبدو ألهمتني مصيري، فلم يكن قط من قبيل المصادفة أن ألتقيها ما بين شاشات ومجلات ورقية - سبع مرات في يوم واحد، هو نفس اليوم الذي فكرتُ فيه أن أقتلهم؛ لم يكن من قتلهم بد، في البداية أرسلتُ لهم الدعوات لمشاركتي مائدة عشائي، بدأت السهرة بداية رائعة تصدح فيها الموسيقى بين أرجاء القصر، وتسيل الضحكات من هنا إلى هناك- على الرغم من كوني حدستُ تنبؤ أحدهم بأنه سيكون «العشاء الأخير» كما في القصة «الأصلية» - وبعد أن نفد الطعام قتلتهم كلهم رغم حبي لهم، بما في ذلك الرجل الذي حملني وأنا طفلة لأوقدَ مصباح الغاز، والمرأة التي أورثتني الولع بالحبكات المحفوظية عندما أوقعتني في غواية الحكايات، ثم الأخرى التي علمتني قراءة الطالع في ثياب الحِداد، التي يحبون وصفها بـ: سيدة الهباء، وفي الجانب الآخر من اللوحة يظهر أبي، أمي، والجد الهرم الذي ينهض بحراسة الحقول وبوَضع الإشارات على الطريق المُشجر بالسرو. أنا التلميذ الخائن.. كل الذين لعقتهم بصقتهم، وزّعتُ عليهم «عيشي ومِلحي» ثم غدرتُ بهم. من جهة أخرى أنا علامة تعجب في وجوه الآخرين الذين آذوني، الذين كرهتهم، أدعهم يتعجبون لأني لم أُشرفهم بِسِكيني ولا بِسُمي، بل قصرتُ هذا على الذين أحببتهم؛ تواطأ ليوناردو دافنشي معي، هو

fb/mashro3pdf

الذي نجح في جعْلِ الحواريين بسطاء بشريين، هو الذي جعلني أحدق في صورهم وأتساءل: لمَ لا يكون أحدهم امرأة؟ ثم أُصغي لمن يرفع رايات الشك ويتساءل: هل ستنقلب الدنيا إن كان «يوحنا» هو نفسه «مريم المجدلية»؟ أكافئه بفنجان قهوة محوجة وسيجار مخصوص لأكثر الأدمغة انفلاتًا.

ليوناردو دافنشي الذي مرّر عشرات الرسائل السرِّية عبر أعماله الفنية، لم يطمسْ ملامحي، فقط اختبأ وراء الجدار وأخذ يراقب تفاحة نيوتن وهي تهبط من علٍ، متظاهرًا بأنه لم يعلم بقانون الجاذبية، أما من حاول أن يخبئ نصف وجهه في نصف وجهي، وأن يداري بعورتي عورته فلم أُشر له، كما فعلت البنت الأخرى، بإشارة بذيئة، فقط أخبرته أني لن أقتله لأني لم أحبه، وسأتركه مثيراً للشفقة أو ربما للاشمئزاز، وفي حركة مفاجئة قفزتُ للأمام فانفصل نصفي عن نصفه وسال دمي.

لو كان دافنشي لم يزل حيًا لحصد نظير لوحاته بلايين الدولارات، أما أبي - الذي لم يكن موهوبًا مثله ولا محتالاً مثل من تاجروا بموهبته، أبي الذي أحببته، ربما، أكثر مما يجب - فلقد عانيت كثيرا حتى سكبتُ دمه من تجاويف عروقي، ولم أعثر على ما أملأ به مِخلاتي سوى الهواء، ومع ذلك فقد انحنى ظهري، تميل قدمي وأكاد أنكفئ، مرة ثم أخرى، ولا أنجو إلا بحركاتٍ بهلوانية مُختلة.

ودعتُ قتلاي ونواياهم الحسنة، ثم لوحتُ مودعةً طمأنينة

fb/mashro3pdf

الركون إلى الضوء الحنون لمصباح الغاز؛ لم يعد بإمكاني الاستمرار في غزْل الحبكات المكرورة أو الاغتباط بالركض في عبق الحقول، كما لن أحقق نبوءة سيدة الهباء؛ لم أفكر في «الأب والابن»، بل في الروح المتمردة، في الحب المغدور والحبيب على صليبه منزوع التاج والمجد؛ ورُحت في غيبوبتي أجرع كأسًا «غير مقدسة» وراء أخرى في «صِحة» التجربة، وفي صحة الخلاص من ملاحقتهم لي، ووسط نظراتهم الميتة، المدهوشة من إصراري، قمتُ بخلع الثوب المهترئ الذي لم يعد يخفي مِني شيئًا، ثم ألقيتُ به فوق وجوم وجوههم، حتى أضمن عدم عودة أي منهم، قبل أن أدس السم في الألوان.

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

عُنوة

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

سيكون جيدًا لو تمنحني الساعة القادمة الفرصة لأعيد ترتيب أعضائي. ساعة ليست بالشيء الهين، فلطالما كانت كافية لإعداد طاجن من اللوبيا «أم عين سودا» بالصلصة الحمراء ومكعبات البتلو، وجبة غداء معتبرة. ستون دقيقة تكفي لفعل الكثير من الأشياء، فترتيب ألوان «الميك آب» فوق بشرة وجهي لا يحتاج، عادة، سوى بضع دقائق أبدو بعدها في غاية الحُسن، وأبعد ما يكون عن هذا الشحوب، وبالتالي فلا أتصور أن يستغرق مدُّ أناملي ومداعبة الكبد الكسول لكي ينشط أكثر من بضع دقائق أخرى، نفس الأمر بالنسبة للطبطبة على الأمعاء التي لا تكف عن النشاط والحركة، ولا عن إحراجي بـ«زغورتها» الفاضحة أمام كل من هب ودب، كما لن أنسى أن أمسح عن عيني دموعًا طالما سفحتها لأجل ما ومن لا يستحق. لن أنسى أيضا أن أرجرج أذني حتى أسقط كل ما انحشر داخلها من أوهام.

ربما لن ينجح هذا العلاج الذاتي مع القلب السقيم، ربما أحتاج لقلبٍ شابٍ غض، قلبٍ أبيض نظيف بدلاً من هذا المحتقن بالنيكوتين والانفعالات، وجراحة لن تستغرق سوى بضع دقائق، سوف أنجح إثرها، في الغالب، في تمديد عمري قليلاً حتى أبصق غضبي ونقمتي وقنوطي في وجه العالم، أو في مؤخرته، ما دام عمري كله لم يمنحني برهانًا على أن هناك من يستحق الحب، فأموت لأجله.. «راضية».

fb/mashro3pdf

وعلى أي حال فلو أنني نجحت في تمديد عمري ليومٍ آخر، فسأقتنص ارتيابًا هائلاً حول الجيولوجيا وعلوم الفلك كي لا أصدق، بعبط وسذاجة، أن ما تنزلق أمامي الآن هي كرتنا الأرضية، فأمد سبَّابتي لكي أوقفها.

يومٌ آخر يلزمني لكي أنتف بقايا تِفل اليقين من رموش أعين فاجأها المشيب قبل الأوان وسَطا على سوادها، ولكي أرتدي جسدًا آخر أعتق فيه المتع التي حرموني من ارتشافها حتى رعشتها القصوى. سأقتنص نفَسًا آخر، ميلادًا آخر، قصيدة تزدري كل ما قيل من شعر.

سأشيد ازدراء آخر، معبدا آخر، يقينًا أنتزعه من علیائه، وألطخه بالوحل وألبسه «بيجامة كستور وشبشب زنوبة» حتى يلف البلد «كعب داير»، ويتيقن أنه لم يعرف من قبل أي شيء.

أما إذا عجزت عن كل هذا فسأمُد يدي بين طيات الكفن وألتقط حفنة بذور اللوبيا «أم عين سودا» التي خبأتها، مع القليل من الحبق والسمسم والحلبة والحنطة، ليكونوا في عوني على ميلادي الجديد.

fb/mashro3pdf

هذا البِرام الفخّاري القديم بالذات

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

لا قَرابة الدم ولا عِشرة العمر ولا كَون الحيط في الحيط، ولا كل الكلام المُزَوق الذي يمكن أن يقال بهذا الصدد يجعلني أسامحهم، أو يجعلني أصغي لهذه التي أرسلوها محامية عنهم، هذه التي ترفع حاجبيها وتجحظ عينيها ولا تفهم ولا تريد أن تفهم ولا أن تكف عن تسفيه الأمر:

كل ده على برام قديم يا خالتي! ماعندك مواعين ياما!

نعم؛ عندي الكثير، لكن هذا البرام بالذات «أحاول أُفهِّمها»: الوحيد الذي أحب أن آكل البامية منه، فبإمكان أي كان أن يطهو حلة بامية «أنجر بحاله»، لكن هذا البرام الصغير وحده منحها من خلال مسام فخاره الطعم والنكهة اللذين يلذّان لي.

عندئذٍ يكون ردها هو اقتراح أن نذهب معًا إلى السوق لشتري البديل الذي يعجبني مهما يكن سعره «من جنيه لألف"

يخرب بيتك بت. أدعو عليها في سري، ثم أرفع صوتي برفض:

لاااا يا حبيبة عيني.

أشرح لها أن هذا البرام من أيام ما «غَزة» كانت تبع مصر، وكان أخي مجندًا هناك وأتانا باثنين: واحد لي والآخر لأختي

fb/mashro3pdf

«وفاء» رحمها الله، وفاء توأم روحي التي لم تعرف كيف تربي أولادها للأسف، (التي لو ما زالت حية لطبت ساكتة عندما ترى أولادها) فيأخذون البرام الفخاري من خالتهم «مليان» على عينه هُبر لحم و«رز» بالخلطة فيما تُزين وِشه طبقة «قشطة» بالصلاة على النبي تقول للقمر «قُوم» وأنا أقعد مطرحك، تعطيهم هذا مساهمة منها في واجب عزاء أبيهم «ألف رحمة ونور عليه» حتى يليق الأكل بالمعزين: رئيس مجلس الإدارة والمدير العام... إلخ من علية القوم الذين ما كانوا ليأكلوا من طبخ الجارات الأخريات «الملهوج وحياالله بس أداء واجب»، يأخذونه ويشكرونها ثم يتركون البرام الفارغ يضيع في الزحمة، بعدما حافظتُ عليه «من أيام غزة» حتى الآن، تبدو محاميتهم كأنها تصغي لي ثم يظهر أنها لم تفهم شيئًا:

- يا خالتي ده انتي ياما أهديتيهم بآلافات. هتقاطعيهم على بتاع مايسواش؟

أستدعي الصبر وأحاول أُفهمها مجددًا أن ما تقول عليه «مايسواش» هو عندي أغلى من الذهب والفضة، فيه رائحة الحبايب وأغلى الأيام، وكنت أرسله لأمهم بأحلى أكلة كل جُمعة وهي مريضة، لأني أعرف إهمالهم «عيالها» وحتى بعد وفاتها صرت أرسله لأبيهم بالأصناف التي يشتهيها، ولمّا مرض وعجز عن أن يؤكّل نفسه صرت أؤكّله بيدي.. كل يوم.

أنتبه على عوجة فم «البت المحامية» وكأنني لم أقل شيئًا

fb/mashro3pdf

البتـة! تمصمـص شـفتيها وتقـول:

-حطي نفسك مكانهـم يـا خالتـي. حتـة بـرام وضـاع أو اختفـى ومهـما عملـوا مـش هيعرفـوا يرجعـوه. عايزيـن يجيبولـك زيـه.. يجيبولـك أي حاجـة تعجبـك.. إنتـي الـلي رافضـة. طـب يعملـوا إيـه؟! يراضـوكي ازاي؟!

أنظـر طويـلا لكفيهـا المشـوحين فتطقطـق شـفتاي وتصعـد المـرارة إلى فمـي، وأهمـس:

حتة برام وضيعوه!

ياخالتـي إذا كان البنـي آدم بـيروح. أبوهـم نفسـه راح. حتـة ، رام بقـى مـش هـيروح؟!

صحيـح إذا كانـوا ماحافظـوش عـلى أبوهـم ذات نفسـه! أبوهـم ا لي رباهـم وشـقي عليهـم العمـر كلـه! إذا كانـوا سـابوه يتلطـم في ا ستشـفيات التعبانـة ولا عـلى بالهـم. كل واحـد مشـغول بنفسـه ، لاص. إذا كانـوا مارضيـوش يخلـوني أبيـت جنبـه أراعيـه وأوّنسـه في المستشـفى، وفي الآخـر هـان عليهـم يسـيبوه يمـوت وحـداني يـا ، عينـي. الـلي عملـوا كـده.. هيحافظـوا عـلى حتـة بـرام؟!

نظـر «البـت» متعجبـة لدموعـي التـي فـرت دون إرادة منـي م تشـهق:

اااااه. كده أنا فهمتك يا خالتي.

fb/mashro3pdf

-ودي مالها عملتْ كده ليه؟ وواخدة في وشها وماشية كده!

خيبة لا تروح تقول حاجة خايبة «زي اللي جابوها»، ساعتها هيصدقوا مقصوف الرقبة الواد التمرجي الكذاب اللي قاللهم اني كنت بأكُل أبوهم في بُقه وهو بيضحك ويقرصني في... هه! قال يقرصني قال! هو علشان يعني ما قلبي اتوجع زيادة شوية! كل من هب ودب هيقول حاجة، عشان ما قلبي يعني.. أبدًا لا سمح الله، مش قلبي... دي المصيبة كلها في البرام ده.

هذا البرام القديم بالذات.

fb/mashro3pdf

السِن الذهبية

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

لم تعرف من منهما «جسدها أم سلك التليفون» الذي التف حول الآخر، فبعدما أنهت المكالمة اضطرت أن تدور حول نفسها ثلاث دورات حتى تتحرر. بهذه «الاشتغالة» عبرت الصدمة التي أصابتها بها المكالمة وكادت تدفع بالدم من وجهها وعينيها، المكالمة التي حملتْ خبر نقل الخالة للمستشفى.

أولاد خالتها اختاروها لأنها بلا وظيفة، بلا أملاك، بلا زوج..

لاعيِّل ولا تيِّل.

قالوا بمصمصة شفاههم:

«الغلبانة شادية» أولى من الغريبة.

صارت «جليسة» للخالة:

الخالة والدة. وكله بثوابه.

مسحت الفراش المتهدل فوق بدن آخذ بالتلاشي، البدن الكسيح بعينيها ولاحظت الأنفاس المكروشة وفتحتي الأنف المنتفختين توسلا للهواء وهمستْ ملتاعة:

شهر شهرين بالكتير. عيني يا خالتي.

الشهران صارا عشرة أعوام تحسنت خلالها الخالة بجهد «الغلبانة شادية»: تُنظف وتُحمم، وتُطهر الجروح وقُرح الفراش

fb/mashro3pdf

وتَنـزع الأنسـجة الميتـة. تبرطـم شـادية:

-عـشر سـنوات مناهـدة ومهابـدة. شـد وجـذب. غَـيظ وشِـدة ثـم شـفقة وعطـف... تهدهـد خطـوط وجههـا المرهـق في المـرآة.

-اصبري يا بت. الخالة والدة. «تهمس لنفسها»

عـشر سـنوات مسروقـة مـن عمـر «الغلبانـة شـادية» تتحمـل وتتحمـل.. ثـم بانفعـال:

-فاض بي. لو لم تمت الآن لكنت... قتلتها.

شـهقت عندمـا أخبروهـا تليفونيـا باحتضارهـا، صرخـت صرخـة عميقـة مكتومـة نـشرت الألم بعظامهـا، ثـم انشـغلت في تحريـر نفسـها مـن سـلك التليفـون، و... هـذا كل شيء.

السـاعات المنقضيـة بـين المكالمـة وبـين وصول شـادية للمستشـفى صـارت موضعًـا لتسـاؤلهم، وغطـت عـلى اهتمامهـم بـأي شيء آخر:

حسبوها ستهرع كي لا تُفوِّت فرصة توديع خالتها..

-الـلي خيرهـا عليـكي.. علينـا كلنـا. تهمـس ابنـة الخالـة «مـن تحـت لتحـت».

نعـم، أسرعـتُ نحـو محطـة الباصـات، ولسـوء الحـظ كان الزحـام بشـعًا.. لكـن هـذا لـن يـبرر أن تقطعـي الشـارع العمومـي يـا سـت شـادية، وتتعمقـي في تشـعبات الحـي حتـى تصـلي إلى «المـول»

fb/mashro3pdf

الفخيم بالجانب الآخر من المدينة!

لا شيء تبحثين عنه، فقط «فُرجة» على الفتارين، بعد عشر سنوات: جليسة مع الخالة، تتحمل «غلاسة» نهارها وسوداوية مزاجها وأرق ليلها وأزماته؛ لا إجازة، لا نزهة ربيعية، تجد نفسها فجأة في دوّامة.. مئات الأنواع من السِلع ذات الألوان والأحجام والأشكال المختلفة، عيناها تعجزان عن الملاحقة.. حقائب نسائية، فساتين، بلوزات حمّالات صدر وألبسة داخلية رهيبة، أحذية، موديلات ساحرة، وجوارب، أدوات تجميل، عطور، أدوات زينة وأكسسوارات، أقفاص عصافير، أقفاص فيها حيوانات أليفة: يا عيني! تهمس. ثم أدوات رياضية، حواسيب، موبايلات. لم تتوقف لاشتراء أي شيء، فقط كانت مأخوذة، مجذوبة لهذا ولذاك، وبؤبؤا عينيها ضائعان، متاهة لم تخرج منها إلا بجهد كبير، لا يقل عن الجهد الذي كانت تبذله يوميًا في خدمة الخالة نظير مبلغ بسيط لو تقاضته غريبة لثارت من أول شهر، لكنك تُحرجين من مطالبة أبنائها وهم ضنوا عليكِ. والخالة التي دأبت على تجاهل تعبك، تتكرم -في لحظة صفو نادرة- بالقول: المطبخ لكِ. أنا وصيت الولاد.

غرفة النوم لابنتها والصالون والسُفرة وكل ذي قيمة لأولادها ولك يا «غلبانة» المطبخ «بحاله ومحتاله» ولن تعترضي على وصف الحاجّة للنملية بأنها مصنوعة من خشب الزان، ووصفها للبوتاجاز بأنه فخر المصانع الحربية، وللملاعق والشوك بأنها صناعة تشيكية: وارد غزة... زمااان.

fb/mashro3pdf

ربما أمكن للخالة أن تستشرف دنو أجَلها، ولم يمكنها إنكار ثقل أرجل أبنائها الذين ما عادوا يزورونها مكتفين بالاطمئنان تليفونيًا، لم يمكنها أيضا تجاهل أن شادية رغم طول لسانها وقلة «ربايتها» التي تفوق الوصف إذ توصي عزرائيل على خالتها:

- أنا مش عارفة إنت ليه بتنسى تاخد المَرَة السَوّ دي؟!

رغم كل ذلك، لم يمكنها تجاهل أن شادية في الحقيقة رهينة لديها، تفكر أيضا بأن المطبخ «رغم إصرارها على أن النملية زان.. وأن البوتاجاز... إلخ» لن ينفع أولادها في شيء، ولهذا همست في لحظة الصفو تلك:

- المطبخ لكِ. و... السِنّة الذهب كمان.

ويبدو أن المقطع الأخير من العبارة كان مجرد زلّة لسان من الحاجّة، لأنها لم تكرره مرة أخرى، أما لماذا لم تتمسك شادية به؟ لماذا لم تكرر على الحاجّة عبارتها «وعدها» حتى تثبّتها دون تهرُّب ولا تراجع؟ لماذا لم تُلحّ؟ لأنها في الغالب تكره هذه «السِن»، نعم؛ ليس معقولا أن تكره شادية الذهب وما يعنيه كثروة، حتى إنها عند صفع العبارة لأذنها همست لنفسها:

- السِنّة الدهب! يا بختك يابت ياشادية! ده انتي دعالك وَلِي.

لكنها سرعان ما تذكرت هذه السن التي هي في حقيقتها

fb/mashro3pdf

«ـاب مدبـب» يـبرز ويطـول ويتـدلى مـن حنـك الخالـة، مهـددا، ألـما غضبـتْ، ولهـذا ردتْ شـادية:

ربنـا يطـوِل في عمـرك يـا خالتـي. ماتفكريـش في الـكلام ده. وأخـذتْ تتسـاءل في نفسـها:

لمـاذا يضـع النـاس ذهبًـا في أسـنانهم؟ لمـاذا تمنـح الخالـة الفرصـة للجشـع ليلعـب بـرؤوس أبنائهـا؟ أمـا تخـشى أن يحطمـوا رأسـها ليأخـذوا السـن؟!

تتنهـد وهـي تـرى أعبـاء الخالـة تثقـل والفـترة تطـول، ثـم «عملتهـا» فجـأة؛ وحـاصر سـلك التليفـون الغلبانـة شـادية، ثـم أضاعتهـا دوامـة «المـول» اللانهائيـة، فلـم تجـد في رأسـها سـوى فـراغ وعـين زائغـة، لا تعـرف بـمَ تـبرر تأخرهـا؟ بـمَ؟

ألهـذا احتالـوا عليهـا؟ ادعـوا أن السِـن الذهبيـة راحـت مـع مـاء «الغُسـل»، واكتفـوا بالمطبـخ.

في البدايـة انهـارت النمليـة.. «الـزان»، -الخشـب مِسـوّس. قـال النجّـار.

- إشـمعنى السـوس ماظهـرش غـير بعـد مـا ماتـت! إياكـشي كان خايـف منهـا ولّا خايـف منهـا!

ظنتـه محتـالاً يبتغـي أخـذ النمليـة «بَلّـوشي: بـلا شيء»، أمـا الأطبـاق التـي أخـذت تتكـسر مـن مجـرد اللمـس حتـى وهـي في

fb/mashro3pdf

مكانها فلم يمكنها إلا الرضوخ لِكَون الأشياء تحزن على صاحبها وتحرِن على غيره، لكن تطوُّر الأمر بشكل خطِر هو ما جعلها تفكر بالفخ الذي نصبته لها الخالة، فشُعلة البوتاجاز التي توهجت في وجهها دون سبب كانت تطورًا نوعيًا، ثم السكين التي تصر على جرحها قبل حتى أن تمسكها، وباب المطبخ الذي انغلق بغلٍ على إصبعها الصغير وشرخ مِفصَلته.

هل رغبت في أذيتي؟

من منهما عذّبت الأخرى أكثر؟ أذلّت الأخرى أكثر؟ كم من المحبة تبقى؟

سرٌ يَصعب فهمه حتى لو باحتْ به، بِركة غائرة من قذارة المرض والعجز والسأم غرقتا فيها معًا، يعجزا عن احتمالها، يعجزا عن الخلاص منها، لكن أيضا ثمة لحظات دافئة، لفتات نادرة.. تلمح أمها بالفعل في وجه الخالة، أو تكتشف نبرة في صوتها نادرا ما تبين... نادرًا...

ما أن تخلصت من المطبخ حتى أتاها صوت ابنة الخالة:

-الحمدلله لقينا السِنة. لقيناها تحت الكِليم.

راحت الكلمات تستولي عليها، كيف انتقلت السِن من يد لأخرى ثم ها هي ستعود لها، لصاحبتها الأصيلة، فالحق لا يضيع. تنهدت بارتياح، فيما برقتْ في عينيها صورة المول- بأنفاس رواده وأجسادهم، واختلاط رائحة العرق والغبار وبقايا

fb/mashro3pdf

العطـور بمـذاق الحيـاة- والمُتـع والأشـياء التـي لا تعـرف إن كانـت سـتحبها أم سـتكرهها أم، لكنهـا تريـد أولا أن تعرفهـا، فـلا بـد أن يكـون معهـا بعـض المـال، أن... يترجَّـع الصـوت ويشـتت أفكارهـا..

- لقيناها تحت الكليم؟ تفكر..

«ولكـن؛ مـن أيـن لبناتِـك كل هـذا النُبـل لـكي يُعِـدن لي شـيئًا يسـاوي الكثـير؟! إلا إذا كانـت السِـن قـد أرتهـم الويـل ونجـوم الليل فـأردن التخلـص منهـا، تـرى مـاذا فعلـت بهـم سِـنك يـا خالتـي؟».

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

حائط غاندي

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

جسد «كلوديا كاردينالي» وعقل «أينشتين» وقلب «المهاتما غاندي» كانوا أمنيات حياتها عندما استقبلت دورة هرموناتها الشهرية الأولى؛ ضيقها بحَب الشباب الذي غزا وجهها وشوّهه تبدد وهي تراقب هامتها تطول ما يكفي لتعليق الصور على الحائط؛ بعد أكثر من عشر سنوات بدأت تسخر من مشاجرات هذه الصور وتنافسها بداخلها، مدركة بعد بعض الوقت نهم أمنياتها وهشاشة قدراتها فيما تمرر يدها فوق بطنها المنتفخ وتتنهد، مضطرة للاعتذار لكلوديا كاردينالي قبل أن تنزع صورتها لتضع مكانها صورة وليدها الغض، إذ عجز جسدها الذي أوهنه الحَبل والرضاعة عن دق مسمار جديد بالحائط الصلب، كما عن الرقص أو التحكم بالنتوءات التي تنبعج من جسدها فجأة ثم تبقى للأبد؛ قبيل بلوغها الأربعين تنازلت عن الحلم بعقل أينشتاين بعد رسوبها في امتحان الدكتوراه للمرة السادسة، ولم تُعِد صورته إلى الحائط بعد نجاحها في المرة السابعة، بل استكفت بأنها ما زالت قادرة على استيعاب العلم قدر ما يتطلب العمل الروتيني اليومي، كما على قيادة سيارتها بتوازن مُرضٍ، وكانت تفتح باب هذه السيارة عندما أحست بيدٍ تسحب حقيبتها المعلقة على كتفها، التفتت فكان الولد، وبيده الحقيبة، قد جرى ليعبر الشارع، وقبل أن تتحرك أو حتى تصرخ رأت سيارة مسرعة تصدمه ثم تجري وتختفي؛ أسرعت خطواتها حتى توقفت لتجد نفسها

fb/mashro3pdf

أمـام صبـي لا يتجـاوز عمـره السـبعة أعـوام، وعـلى الرغـم مـن غضبها العـارم فقـد أحسـت بنظرتهـا حائـرة - بـين حقيبتهـا التـي يحتضنهـا الصبـي بـذراع مضمومـة، بـإصرار، إلى صـدره، وبـين دمـه الـذي يسـيل فـوق الأسـفلت- وبسـاقيها تتهاويـان، تجمـدت لحظـة ثـم حسـمت أمرهـا وتحملـت ألم ركبتيهـا وانحنـت، حملـتْ، بصعوبـة، الصبـي وسـارت نحـو سـيارتها، وضعتـه عـلى الكـرسي فيـما ذراعـه لا تـزال مثنيـة إلى صـدره عـدا أن الحقيبـة لم تكـن موجـودة، تحـيرت لحظـة: هـل تنـزل لتبحـث عنهـا؟ هـل تـدور بالسـيارة؟ لكـن رؤيتهـا لارتجافـه وشـحوبه جعلتهـا تحسـم أمرهـا، أدارت السـيارة باتجـاه المستشـفى ثـم... ابتسـمت لغانـدي.

fb/mashro3pdf

سويتر جلد بُني

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

طقس لطيف يغري بنزهة صباحية، إلا أن الشوارع لم تستعِد هدوءها بعد، صخب وإزعاج، وقسوة في النظرات وحتى الكلمات، تتطور في الغالب إلى مشاجرات، بين المارة والباعة المتجولين، بين سائقي العربات والميكروباصات وبين الراكبين، جلبة وعنف يتزايد يوما بعد يوم. تُفكر بهذا وهي تغلق النافذة، ثم تهجع إلى الكنبة المريحة أمام شاشة التليفزيون مع سلة الخضراوات تطل منها حبات البامية الخضراء. تترك أفلام الكرتون وبرامج الطهي، تضغط الزر لتهرب من نشرات الأخبار، ضغطة أخرى تجد المنصة أمامها. الهيبة لا ينال منها كونها مجرد صورة على الشاشة، فلقد انزلقت من يدها الحبات وكادت السكين تجرح يدها وهي تصغي للصوت بانتباهٍ، يؤججه إيقاع المطرقة تضرب بها يد القاضي سطح المنصة. ينتهي من كلمته الخاطفة عن الظلم والعدوان وقتل النفس التي حرّم الله ثم يهتف بعنوان قضية «قسم شرطة شرق...»، ويطلب العرض. يظهر عامل ووراءه آخر ينحنيان ويضعان عن كاهلهما صناديق ضخمة يتضح أنها مليئة بأشياء متباينة النوع والحجم جمعها القاضي في كلمة واحدة «أحراز». قطع أسلحة، ذخيرة، خرطوش، فردة حذاء، زجاجات كبيرة، نظارات طبية مُهشمة، خوذات، مُدي، مقاليع، أوراق، هراوات، أجهزة محاليل وريدية... ثم سويتر جلد بني.

fb/mashro3pdf

يرتفع صوت: عدد ٢ مسدس.. مطواة.. إلى أن يصل: سويتر جلد بُني مثقوب بأكثر من ٢٠ ثقبًا لطلقات نارية.

-هه! بُني!

تكاد عيناها تبتلعان الشاشة، تترك صوت القاضي يتلو تقرير الطب الشرعي.

هرعت إلى دولاب متوسط الحجم تفتح ضلفته وتفرز بيدٍ مرتعشة كل الشمَّاعات، عابرة كل الثياب المُعلَّقة ثم تتركها وتسرع إلى التقاط موبايلها.

*****

ضحكات الشباب لا ينال منها زحام الشارع، أو غبارٌ علق فجأة بالجو؛ يمد يده ويلتقط كوب الشاي من على إفريز شباك الدور الأرضي ببيت قديم احتموا بجداره، وقبل أن يأخذ أول رشفة يرن موبايله:

- أيوه.

-....

- إيه؟

-...

- مالك يعني؟

fb/mashro3pdf

- طب يا ماما...

-.....

- يا ماما باقول لك عند المغسلة.

-...

- أيوة السويتر الجلد البني. خلاص؟!

وبينما خفض صوته ليهمس لأمه بكلمات لم يسمعها رفيقه، يرفع هذا الأخير يده مشيرًا لشاب آت من بعيد بهتاف ضاحك، إلا أن هذا الشاب الآتي لم يضحك لأنه كان يحادث أحدًا في الموبايل، وعندما اقترب سمعه يؤكد:

- يا ستي في الشنطة اللي تحت السرير. مش قصدك ع السويتر الجلد؟ الجلد البني؟

يحدثها ويلاحظ دهشة عيني صديقيه لدى ذكر السويتر الجلد البني. ينظر إلى اليمين فيلمح عابرًا مرتديًا نفس السويتر، ينظر يسارا فلا يتسنى له سوى طرف السويتر. ينظر إلى أسفل.. إلى أعلى..

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

رسمٌ.. بقلم الرصاص

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

بـدتْ مرتبكـة، تُحـرِك، بكـثرة، كفيهـا وبؤبـؤي عينيهـا. ذكـرتْ وهـي تفتـح أحـد الأدراج أنـه فتـى شـديد التميـز. كنـتُ أصغـي إليهـا وأتأمـلُ محتويـات المكتـب مدهوشـة مـن عـدم وجـود شيء مميـز، لا شيء يـشي بامتلاكـه لهوايـةٍ حاذقـة، أو لمهـارةٍ خاصـة، كتبـه المدرسـية مكدسـة بإهـمال، أقلامـه مـن النـوع الشـائع الـذي يسـتعمله أغلـب التلاميـذ، سلسـلة مفاتيحـه المعدنيـة يزينهـا تصميـم مألـوف للسـندباد الرحَّـال.

لمعـتْ عيناهـا بزهـو وقالـت إنـه حفـظ سـتة أجـزاء مـن القـرآن قبـل أن يدخـل المدرسـة، كـما أنـه سـبق أقرانـه في تعلُّـم حـروف الهجـاء، منـذ صغـره كان يحـب أن يتعطـر وعندمـا بلـغ عامـه الثـاني عـشر بـدأ يـسرح شـعره إلى الـوراء.

أخبرتنـا، بلمعـانٍ أعمـق بعينيهـا، أنـه أفضـل هـدافٍ بفريـق الكـرة بالمدرسـة. حرّكـتْ، وهـي تحـكي، قبضتها بحماسـة المشـجعين، فتبادلنـا أنـا وزميـلي النظـرات.. وعندمـا التفـتُ نحوهـا كانـت قبضتهـا قـد ارتخـتْ وتهدلـتْ بجانبهـا وكان لمعـان عينيهـا قـد انطفـأ.

في الغرفـة الصغـيرة رأيـت حذائـه الريـاضي مركـون بجـوار البـاب ومغطـى بطبقـة خفيفـة مـن الغبـار، في الجهـة المقابلـة غطّـت سريـره مـلاءة خـضراء مـا زالـت مكرمشـة في موضـع نومـه مخفيـة بعـض رؤوس الإوز البيضـاء المطبوعـة عـلى القـماش، فيـما احتلـتْ

fb/mashro3pdf

صور رياضيين شهيرين الحائط المتاخم لسريره، بينما انفرد الجدار المقابل بصورته المدرسية بالقميص الأبيض وربطة العنق الرمادية.

فوق الطاولة، التي كان يستذكر عليها دروسه رأيتُ رسمًا، بقلم الرصاص، لم يكتمل بعد، لطائر يحلق في الأعالي.

ذكرت وهي تجذب ريموت التليفزيون أنه اقترب من طول أبيه «هامته»، وحكتْ عن مراقبته لما يجري آملا أن يُرفع حظر التجوال. ذكرتْ وهي تمصمص شفتيها أن انقطاع التيار الكهربائي كان يحرمه من متابعة المسلسلات التي يحبها، ومن التسكع على الكورنيش مع رفاقه، أخذت ابتسامتها في الاتساع تدريجيًا وهي تحكي كيف أقسم بأغلظ الأيمان أن يمدهم على أقدامهم بعصا أبيه إذا ما حاولوا اقتحام الحارة. وفيما كنا نضحك أخرجت من جيبها عود صغير من البوص، قالت إنه كان يحب أن يصفِّر فيه، قالت إنه سقط من جيب السويتر الذي... ثم توقفت فتوقف الضحك.

فجأة، بدا لي أنني لمحته، كان هو بالفعل، أو صورته...

- هل تخيلتْ يوما أن تتناقل صورة ولدها الشاشات؟

تساءلتُ وأنا أطالع الوجوم بعينيها. ضغطت الزر مرة ثم أخرى، في الأولى رأيتُ الملامح الأسطورية لبطل، وفي الأخرى ظهرتْ ملامح مجرم، وكلتاهما كانت مختلفة عن صورته

fb/mashro3pdf

الحقيقية بالقميص الأبيض وربطة العنق الرمادية؛ لشد ما بدت المسافة.. شاسعة بين اللقطتين كعالمين متباعدين، أما المسافة بين الحياة والموت فلم تكن سوى تلك المليمترات القليلة بين الزناد وإصبع القناص.

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

رسالة علياء

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

يضغط زِر «إخفاء» بالكمبيوتر ثم ينهض؛ تتحرك قدماه الحافيتان فوق الأرض المترعة ببقايا الطعام وفوارغ علب العصير ومزق الأوراق، يرتدي المعطف الثقيل لحماية جسده، ويدخل كفيه في القفاز، ثم يضع الخوذة فوق رأسه، وأخيرا يأتي دور الحذاء الطويل، تمامًا كما في الإعلان التجاري عن أدوات قائد الدراجة الهوائية لتحدي الشتاء. يضرب الأرض بحذائيه جذلاً.

***

- لا أحد يعرف متى قرر الإنسان أن يكف عن المشي حافيًا؟ أو إن كان قد استخدم الأعشاب أولا أم قِطَعًا مسطحة من الخشب يشدها سيور من الجلد ليحمي قدميه في أثناء سيره بين الصخور؟ ربما لم تكن هذه الصنادل كافية لحماية القدمين، ولذلك أضاف إليها مواد أخرى تطورت تدريجيًا إلى أحذية، وباكرًا استخدم المصريون لبّادات من الجلود أو ورق البردي يشدونها إلى القدم بواسطة رباطين، وتقدم الرومان خطوة أخرى وصنعوا نوعًا من الأحذية بشكل أكياس محشوة بالعشب يربطونها حول القدمين، أما أحذيتنا الحديثة فإن بداياتها تعود إلى رحلات الحج الطويلة التي تطلّبت صنع أحذية تدوم طويلاً، مع أن الحيوات نفسها سرعان ما كانت تقصفها الحروب.

fb/mashro3pdf

تستمع «علياء» لمُدرِّس التاريخ حتى لو لم تفهم كل ما يقوله. فقط تلف شريط ضفيرتها الأبيض حول إصبعها ثم تجذبه أمام أنفها لتداري تثاؤبها، تبتسم له وهو يسترسل باهتمام:

-مع مرور الوقت، ظهرت وِرَش لتصنيع الأحذية الجلدية؛ وبشكلٍ عام فالأحذية صارت، على مَرِّ العصور، رمزًا للتحضر، مُسدِلةً الستار على مشهد الحفاة البدائيين إلى الأبد.. أو هكذا كان يُفترَض، إضافة إلى أن تقلبات الموضة الخاصة بالأحذية صارت عنوانًا مميزًا لكل عصر، وصار الحذاء صناعة تفتح بيوت آلاف مؤلفة من العمال وتصنع مليارديرات وتُلهب قُوى التنافس «الشريف وغير الشريف» بينها، حول الخام والموديل والسعر وفرص التسويق؛ وصولاً إلى تحقيق ثروات من مزادات على أحذية كانت تنتعلها الأميرات والخليلات ثم نجمات السينما فيما بعد، أحذية انطبعت فوقها آثار شفاه العاشقين، وأحيانا ذكرياتهم أو دموعهم أو... دماؤهم.

يُكمل عم «بخيت» الصرماتي القصة:

- هناك حذاء الجلد الطبيعي للميسورين، والصناعي: للبسطاء، الذين أكثر ما يتحسرون عليه هو «الفردة» السليمة بعد اهتراء الأخرى، ففي حال تبلى الاثنتان معا يكون أهون.

ولكن على أية حال، تفكر علياء، فقد انتبه مؤسسو صفحة «أفكار منزلية» فحولوا الفردة السليمة إلى بيت صغير للزهور بوضع أصص صغيرة داخلها وتعليقها على مداخل البيوت، أو

fb/mashro3pdf

الفرنـدات، فـردة واحـدة أيضـا هـي التـي قـادت الأمـير الولهـان إلى «سـندريلا» الهاربـة، عمليـة مـن نوعيـة: قـص الأثـر بمعنـى مـا؛ تذكّـرت «علياء» الحدوتـة وهـي تغـرس النبتـة في الإصيـص الصغـير ثـم تدخلـه بفـردة حذائهـا اليـسرى - بعـد أن تمزقـت اليمنـى، هنـاك في المدرسـة عندمـا جذبهـا «الـواد كريـم» الشـقي، بقـوة مـن يدهـا فتسـبب في وقوعهـا عـلى الأرض وتمـزُّق الفـردة اليمنـى- ثـم تركـض جـذلاً لتُثَبِّتهـا عـلى إفريـز الشُـبّاك قبـل أن يصـل «بـاص» المدرسـة.

تحـب علياء، كـما أتخيلهـا، أن تتفـرج عـلى نفسـها في المـرآة وهي تلتهـم المكرونـة الإسـباجيتي دون أن تسـمح لقطـرة واحـدة مـن صلصتهـا أن تلـوث ثيابهـا أو حتـى ذقنهـا، تحـب أيضـا أن تسـتمع لجدتهـا تبسـمل وتحوقـل قبـل أن تحـكي حكايـة حـذاء النبـي الـذي حملتـه طائـرة الأمانـات «المقدسـة» مـع أشـياء النبـي البسـيطة الأخـرى «كنـوز الحجـرة النبويـة الشريفـة: الصنـدل والعِمـة وعـدد مـن المصاحـف والشـمعدانات و... إلـخ» تحـت حراسـة مشـدّدّة مـن المدينـة المنـورة إلى الخزانـة السـلطانية في قـصر «تـوب قـابي» في إسـتانبول، في ذروة أحـداث الحـرب العالميـة الأولى؛ وهـو حـذاء آخـر، تخبرهـا جدتهـا بنـبرة مهتـزة، غـير ذلـك الـذي سُرِق مـن النبي ومـا زالـت الآراء مختلفـة: إن كان النبـي قـد دعـا، بالفعـل، للسـارق «اللهـم أن كان محتاجًـا فبـارك لـه في مـا أخـذ»؟ أم لم يفعـل؟ تمسـح الجـدة عينهـا ثـم تتصَعَّـب وترفـع يدهـا بالدعـاء عـلى مـن سرق حـذاء زوجهـا «جـد علياء».

fb/mashro3pdf

- سرقه من على باب الجامع. الله يحرقه.

تكركِع علياء من تقلبات جدتها؛ وتفر الدمعة من عينها عندما يصدمها تشقق واسوداد قدمي صبي المكوجي الحافيتين، ستُدهَش لأن المكوجي يرفض أن يشتري له حذاء يحمي قدميه، وستتذكر درس التاريخ وتتساءل في نفسها: هل كل الحفاة بدائيون؟ تتساءل عن العكس أيضًا، ثم تنحني فوق حصالتِها وتحصي ما معها فتتنهد عندما تجده لا يكفي؛ وستتأمل حذاء العقيد عندما تتوالى الصور على شاشة العرض بسرعة فائقة ويذهلها الإصرار على الوصول إلى هذا الحذاء بالذات، فالشعب الليبي الذي قام بثورة عارمة على الديكتاتورية لم يكتفِ بالتنكيل بالرجل بل أصر على الاحتفاظ بحذائه - الذي طالما احتلت صورته شاشات القنوات الرسمية حين كان الرجل يغضب من برنامج ما - كدليل على طي تلك الصفحة إلى الأبد، وربما دُهِشتْ أكثر من مَيْل «جورج بوش الابن» المفاجئ الذي اتضح أنه كان محاولة لتفادي فردة حذاء «منتظر الزيدي» الصحفي العراقي، الذي اختار هذه الطريقة للتعبير عن سخطه على الإدارة الأمريكية ومواقفها من عراقه. ربما تستوقفها كذلك صورة رواد الفضاء بثيابهم المُبَجَّلة وأحذيتهم الطويلة الغريبة التي تطير بهم أمتارًا بسبب غياب الجاذبية الأرضية فوق سطح القمر. لكن يصعب التكهن إن كانت قد رأت الإعلان التجاري لهذه الدراجة الهوائية المُدهشة من قبل أم لا؟

***

fb/mashro3pdf

الدراجة الهوائية تشبه تلك التي قادها «كلينت إيستوود» في فيلم "Coogan's Bluff"، تسابق -في مشوارها القصير - السيارات فتسبقها، وتصدم حائط غاندي ويدخلها الهواء المُنعش من كل الجهات، فيرتفع هرمون الأدرينالين لدى سائقها الشاب محققًا نوعًا من النشوة، لن تنسيه أن يُحكم ضم أطراف لثامه التي طيّرها الهواء.

عندما وصل الباص كان الباب الخلفي لسيارة الإسعاف مفتوحًا لاستقبال المحفة التي كانت الملاءة فوقها تغطي جسدًا صغيرًا، فيما راح يتأملها شخص «بلباس ميري» جالس على حافة الرصيف، يتنفس بصعوبة، لم يُصدق بعد أنه كان مستهدفًا وأنه نجا، فقط يتذكر «علياء» ابنة جيرانه الصغيرة التي طالما تبرَّم من صخبها ودبدبتها على السُلم، لم يسمعها وراءه هذه المرة ولم يتصور أن مريولها المدرسي الصغير سيتلقى كل الطلقات التي كانت موجهة إليه عندما رأى فوهة الرشّاش يصوبها نحوه المُلثم سائق الدراجة الهوائية، فبرك على الأرض.

الدماء التي غطت الأرض عافتها الأعين الصغيرة المُتطلعة من شباك الباص المدرسي، كما لم يفهم بعض الصغار دور المحفّة، وبعضهم الآخر كان ما زال ينتظر نزول علياء، فيما ارتقى «الواد كريم» الشقي ببصره، حتى استوقفته النبتة الصغيرة تطل من قلب فردة الحذاء.

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

حرير منزلي

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

شعر ماما أسود ليلي، طويل وناعم كالحرير، كان يمشي بجوارها عندما كانت تمشي، الآن صار يرقد على السرير بجوارها، وكأنه يعطي درسًا في الوفاء، لكنه فجأة أخذ يتركها ويتساقط، فأحزن هذا ماما، فَرُحنا أنا و«فوفا» نواسيها ونهدهدها فيما ظل هو ينفلت من فروة رأسها... شعرة تهبط في كوب الماء، أخرى تختبئ في طيات العجين.. المدهش أن شعرة لم ألحظها في الأكل «المرة الوحيدة التي كان الأكل فيها خاليا من الشعر، أو هكذا بدا لي» وجدتها في برازي، شعرة أخرى جعلتني أحس بحكة، مددت يدي فاكتشفتها عالقة، نصفها بالخارج ونصفها بداخل أمعائي السفلية، اضطررت لجذبها وفي الحال تأكدت من انتمائها لشعر أمي «سوداء، ناعمة، وطويلة».

شعر ماما يتساقط، والأسوأ أن الشعيرات المتساقطة تتلاصق وتتكتل وتجعلنا ننزلق على البلاط ونحنق عليها، وفي إحدى المرات سدّت الكُتل حوض الاستحمام وفي مرة أخرى تسببت في انسداد ثم في طَفح مجاري الشارع، في هذه اللحظة تلقينا نظرات الجيران المشمئزة الغاضبة والمتوعِّدة، فأدركنا مأساوية وضعنا؛ لجأنا لدهانات موضعية أو علاجات أخرى كالأقراص أو الحقن.. فيتامينات وغيرها أتتنا بها الجارات حانقات، لكن شيئا لم يصلح الحال فأحزن هذا ماما وزاد الحزن من تساقط شعرها فَرُحنا نهدهدها أكثر، حدث هذا في وقت اختفتْ فيه كل دودات القز من البيت ولم يبق لدينا خيط حرير واحد،

fb/mashro3pdf

هذه الدودات التي بدأ أبي يُربيها بعدما مرضت ماما ليشغل وقته، ولهذا علّمنا أنا وفوفا مساعدته في تغذيتها ورعاية دورة حياتها، وحفظ منتجها، كانت دودات القز عالمًا شاسعًا ومثيرًا، وكانت تدر علينا دخلاً لا بأس به، توقف توقفًا دراماتيكًا ذات صباح دون سبب واضح، إلا أن أبي لم يتوقف عن الخروج يوميًا من شقشقة الصباح حتى آخر الليل، متخليًا عن اهتمامه بالبيت، ورعايته لماما ولابنتيه، يخرج من أجل جمع أوراق التوت على أمل عودة الدودات، جمع الكثير ولم يتحقق الأمل، تكدست الأوراق حتى جفتْ على أرفف المطبخ التي خلتْ من الطحين والأرز والزيت. ولكن بنفس فجاءة المأزق لاح الحل في رأس ماما عندما سقطت شعرة في إصيص زرع وبدأت تنمو، وفوجئنا بخصلة سميكة من شعر ماما آخذة في البروز من قلب الطمي. في البداية لم نفكر بأكثر من إعادتها لرأس ماما، لمكانها الطبيعي «حتى نداري قرعتها التي تتسع كل يوم» لكن الرأس رفض الشعر الجديد وربما اعتبره غريبًا لأنه أخذ على الفور يلفظه، الخصلة الثانية بزغت في إصيص النعناع وكانت لها رائحته، فاقترحت أختي فوفا أن نعرضها للبيع، ووجدنا إقبالا هائلاً، وخلال فترة قصيرة كان المستزرع من شعر ماما يعتمر رؤوس أغلب نسوان الحي، ثم زحف إلى الأحياء الراقية، ثم المنطقة كلها بعد أن صففه شباب الكوافيرات في تسريحات مختلفة؛ كما أبدعنا في زرع شعر ماما بروائح مختلفة «ياسمين، بنفسج، نرجس، ليمون... إلخ» شرط أن تكون شعرة البداية من شعر ماما الأصلي، لا من الآخر المزروع ولا من أي شعر آخر،

fb/mashro3pdf

فلا شعري ولا شعر فوفا أظهرا جدوى. مع كل نزع لشعرة كنت المح تقطيبة بوجه ماما لكن فوفا طمأنتني لِكَون الأمر غير مؤلم، وصدقتها لأنها أكبر مني، رغم أني لمحت دموعًا بعيني ماما، مع كل نزع لشعرة تظهر دمعة أكبر حجمًا وأكثر لمعانًا من سابقتها، أصرت فوفا أنها ليست بدموع ورفضت اقتراحي بإعادة استعمال العلاج لفروة رأس ماما، وقالت إن مخيلتي شغّالة على التفاهة وإن الأفضل أن أهتم بالعمل الذي -والحق يُقال - تهتم هي به أيما اهتمام، فقد صار كل حياتها ومعنى وجودها، لا يفرحها إلا إنجاز تحققه، وكل إنجاز يمنحها الثقة بنفسها واحترام وتوقير الناس الذين صاروا يعملون لها ألف حساب، وينحنون بإجلال للشابة الصغيرة التي نجحت في إنقاذ أسرتها. على أي حال استمر الأمر وراجت التجارة وكانت مشكلاتنا المادية على وشك أن تُحل، خاصة مع استلام أبي لعمل جديد بأجرٍ مجزٍ، وهو ما جعله يطلب منا أن نتوقف عن نزع شعر ماما، أحسست بارتياح لطلبه فيما رفضت فوفا بشكل قاطع ونهائي التخلي عن عملنا، وقالت: تخلى عنا سابقا. ما الضمان ألا يفعلها مجددا؟ قالت ذلك بصوت مختلف عن صوتها الطبيعي، وأنا أصغيتُ إليها إصغاء شخص بلا أذنين، شخص لم يمتلك الشجاعة لمواجهة الآخر الأكبر منه، الذي لا يدخر وسعًا في رعاية أمهما في كل الأمور الحياتية والصحية الأخرى بالشكل الذي يعجز الصغير عنه. كنت أنتهي من صلاتي وأرفع عيني ويدي إلى الله بالدعاء أن يشفي ماما وأن يعود بابا لاهتمامه بنا، لكن بمجرد أن أنزل ذراعي إلى

fb/mashro3pdf

جانبي تبدأ عيناي تتخاصمان.. واحدة ترقب ماما وتمتلئ بالشفقة، والأخرى تلتمع وهي ترقب فوفا التي ازداد تألقها، فطالت هامتها وانفرد ظهرها ونفر نهداها لمسافة أدهشتني. استمر الحال هكذا لفترة إلا أن المأزق تجلى أمامنا فجأة، وهو أن شعر ماما الحقيقي يوشك على النفاد، لم تبق إلا عدة شعرات، جرفَ نزعُ إحداها أكبر دموع ماما التي يصعب اعتبارها مجرد دموع. استوقفتني فوفا حائرة، مرتبكة، وهي تحمل الدمعة الكبيرة في راحة يدها؛ للمرة الأولى أراها بهذه الحال، فردتُ هامتي ثم انبريتُ أشير لها لكي تفتحَ الدرج وتستخرج الكريمات والمعالجات، فعلتْ بانكسار وبيد مرتعشة، تركتُها تدهن لماما وداريت ارتياحي لإقرارها بأننا لا بد أن نعالج فروة رأس ماما، ولا بد أن نمسح دموعها قبل أي شيء. لم أخبرها بعد أن ماما تحركتْ قبل قليل، للمرة الأولى منذ فترة طويلة، رفعتْ ذراعها لتريني غابة من الشعر في منطقة تحت الإبط، شعر أسود ناعم وطويل يكفي لدفع مشروعنا الاستثماري دفعة قوية جديدة.

fb/mashro3pdf

عفاريت النزلة

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

كنتُ مُتحيراً إن كان وجهه متجهمًا أم أن ابتسامته شبيهة بالتجهم، فيما كان بوضوح يقول:

- نحن نعيش أحسن عيشة.

تنهد ثم شرح: أنت هنا لا يمكنك أن تلعب الكرة في الشارع. لا يمكنك أن تزعق على ابنتك الصغيرة لكي تشاهدكَ من البلكونة وتهتفَ مُشجعة عندما يُسعدك الحظ بتسديدة حلوة. هناك دائمًا من يتأففون منك إذا حاولت فقط أن ترفع صوتك، من يغسلونك بنظراتهم اللعينة، من يراقبونك ويتربصون بك، أما نحن فالحال مختلفة. فقط أعطِ ظهرك لوسط البلد وسِر.

وضعتُ الخبز المحشو باللحم المُتَبَّل في المايكروويف وأنا أصغي لخارطته المدهشة:

- تترك منتجع الفيلات بكلابها «الجرمان شيبيرد» وتعبر شارع السيارات الذي ينزلق فوق أسفلته فِرد الكاوتشوك كخيوط الحرير. بعدها لن يكون عليك سوى أن تمضي قدمًا حتى تجد نفسك عند موقف الميكروباصات الذي يعج بالخلق والبضائع.. ركّاب وسواقين وباعة جائلين، ولاد ناس وصيع ولاد أبالسة. صياح وهتاف.. هات وخد. إنتش. إهبش. خلّص نفسك واجري.. وصولاً إلى السوق الجهنمية التي تنمو شيطانيًا، تتمدد في كل اتجاه دون إذن ولا تصريح.. لا من الحكومة ولا من الناس

fb/mashro3pdf

ولا حتى من رب الناس. على أي حال لا بد أن تنتزع نفسك من كل ذلك وتمضي بنفس الاتجاه، حتى يجرح عينك انعكاس الشمس في صفيح العشش وحجرات الصاج، ثم أسقف الغاب والخيش حيث يعيش أهالي نزلة سلطان «وأنا أحدهم».

انتبهتُ لمرور الوقت عندما لاحظت شمشمات منخاريه ابتهاجًا برائحة الشواء، كان قد بلغ به الحكي قصة «صفوان» الذي انقض على زوجته ليركبها فصعقته برفضها، ركلها فصرخت: عايز تموتني يا واطي! عندها انتبهوا إلى الهواء من حولهم «كل شيء مكهرب»، لسعة كهرباء في ركلة صفوان أو في ضربة زوجته أفقدت كليهما صوابه، لسعة صارت تصيب الواحد منهم عند لمس أي شيء، تسري في الجسد مثل سيخ من قشعريرة حامية وباردة ومؤلمة في نفس الوقت. لم يهتدوا لما يسببْ كل ذلك بشكل قاطع، إلا أنهم لاحظوا ازدياد الكهربية مع دق المزيد من أبراج الهواتف المحمولة فوق سطح الجمعية الخيرية التي تتوسط مساكنهم.

-ولكن لمَ اختاروا نزلتكم؟ تساءلت.

لم يجب، فقط استطرد: الحق أن احتراق مواتير تلاجة عباس وغسالة زين وتليفزيون رضا.. كدر عيشنا، والحق يقال فقد أردنا أن نعتبرها صدفة لا علاقة للمحطات بها. وكإجراء احترازي «حتى لا نخسر الجلد والسَقَط» اضطررنا لأن نفصل هذه الأجهزة أغلب النهار، وحُرمنا من الماء البارد والأهم من

fb/mashro3pdf

مشاهدة المسلسلات وبرامج «عرب أيدول»... إلخ. صرنا، والحق يقال، كئيبين مهمومين «مبوّزين»، إلى أن لمس «الواد رُوقة» مصادفة تليفزيون «سمسمة». احتضنه بذراعيه لينقله من الصالة إلى الصندرة: مخزن الكراكيب.. فإذا بالجهاز يشتغل من أول لمسة صوت وصورة كأنه موصل بالكهرباء «المضبوطة»، كأن ذراعي روقة هما قطبي الموجب والسالب، هلَّلنا وتفرَّجنا حتى الصباح على تلفزيون «سمسمة» وهذا ما صار يتكرر كل ليلة، وقبل أن نفترق كنا نعمل أحسن واجب مع الواد روقة «شندوتش متين أو حتة حشيش» لنعوضه عن النَشر بذراعيه طوال الوقت، ثم تطورت الخدمة فصرنا نشغل الثلاجات والغسالات بقطبيه وقبل انتهاء المهمة يكون «واجبه» بجانبه. كنت أختار له المشوي من أحسنها حاتي. أصل أنا خِبرة. وهو يأكل كفايته ويصر أن يعطيني الباقي.. ألم أقل لك إننا نعيش أحسن عيشة؟!

زفرت طويلا وأومات برأسي.

أخرجت الخبز من الفرن ووضعته في صحن أمامه: بِسْم الله.

قضم قضمة صغيرة مُستحلبًا الطعم بتلذذ، ثم مصمص شفتيه بأسى:

- ياه! فكرتني بأيام روقة.

تساءلت بفزع: ماله روقة؟ مات؟

fb/mashro3pdf

- تِف من بُقك. هتف وهو يزدرد متعجلاً ثم أكمل:

- زي ما تقول الفولت بتاعه فصل. الدكتور قال كل حاجة كويسة. بس ماعادش يقدر يشحن أي جهاز.

مد يده وقرَّب اللقمة من فمه وقبل أن يبتلعها:

- وشوف رحمة ربنا. من ليلة ما يرقد روقة لا قادر يرفع إيد ولا رِجل. تظهر الأمارة في الواد يونس علشان النزلة ماتضلمش.

هتفتُ مشدوهًا: آاه!

تنهد وهو يعيد اللقمة دون أن يأكل. أشرت للصحن فهز رأسه رافضًا.

fb/mashro3pdf

جلد سلخته الشمس

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

الباب القديم مُقشَّر ولا يبلغ الأرض، بل يترك مسافة تكفي لتسريب الصوت.. الصراخ الذي يترجَّع في أذنيكِ مهددًا بانفجارهما. لأول مرة ترَين هذا القبح! عورة الخشب في الباب المتهالك الذي استباحته كل كفٍ وتركت عليه عرَقها وبَصْمَتَها وغبار خلاياها! كيف لم ترينها طيلة هذه السنوات!

تهبطين ببصرك نحو الأرض، ثم ترتقين أعلى الجدران.. كل شيء يثير اشمئزازك، تلتفتين نحو النافذة المشرعة.. هناك؛ على مدى الشوف تلمحين طفلة بثوبٍ منفوش، لَبني اللون، تعدو فيهفهف شعرها فوق كتفيها ويسبقها نسمة رقيقة من عبق زهر النارنج؛ تبدو هذه الطفلة في العمر الذي لا تُسعف فيه الذاكرة أحدًا ليقول: كان لي أبٌ طيب، أمٌ حنون، كنا نعيش في بيت جميل، العمر الذي لا يحتفظ الذهن بصورة مؤكدة عنه، بل فقط هالة لَبنية.. ومسحة عَفرتة وشقاوة، يصفونه بـ: «عمر الزهور»، وهو نفس عمر العيل الذي يوجعكِ صراخه الآتي من تحت الباب.

الباب الآخر المُطل على الخرابة ليس مُقشرًا لكنه مصنوع من معدن صدئ، يظهر عنده «الواد حسونة»، بضحكته السمِجة المتقطعة بتناغم مع عرجة رجله..

ألفِتُ عيني للجهة المقابلة لكنه يبادرني:

fb/mashro3pdf

- ده عيل من الجداد؟

فأومئ برأسي: نعم.

يمسح عرقه بيده المعفرة ثم يمسد بها رِجله القصيرة، يمررها فوقها عدة مرات، ثم يجلس على طرف الدكة الآخر المقابل للطرف الذي أجلس عليه وبين سماعنا لصرختين بتساءل:

- بتاع قويسنا ولّا شبين؟

أتنهد طويلا قبل أن أهمس: شبين.

يمد يده مناوشا في المساحة الفارغة بيننا وهو يضحك:

- ده أصلاً ماحدش سأل عليه. مزعّلة روحك ليه؟

همست وأنا أدفع يده القريبة من صدري بعيدا: - مش مزعّلة.

أعاد يده إلى جنبه ثم مدها في جيبه وأخرج عُقدًا من خرز لامع ملون، غمز بعينه «كأن بيننا سرًا» ثم همس وهو يرفعه ليزغلل عيني:

- علّقتهولك من مَرة إنما إيه! مُزة بنت أبالسة. شوفي.

صحت وأنا أقلب شفتي وأُدير بؤبؤي عيني بعيدًا:

- بلا قرف.

fb/mashro3pdf

علت صرخة من وراء الباب بنفس لحظة قيامه واقترابه رافعًا العقد بمحاذاة عنقي هامسًا:

-قرف يا هبلة! ده هيبقى عليكي لوز.

ثم وهو يمد يده مجددا نحوي: هياكل منك حتة.

- مش عايزاه. صحت وأنا أرد يده محتدة.

مُصر على الاقتراب، صرخة جديدة تتسرب من تحت الباب، والعقد يغشى عيني بسحر ألوانه وبريقه. يهمس صائحًا وهو يميل بقربي:

-استني بس.

تراجعت وكدت أنزلق فوق البلاطة المكسورة، اهتاجت أعماقي غضبًا ولوحتُ له بقرن غزال اكتشفتُ في تلك اللحظة أني قابضة عليها منذ فترة لا أعلمها، لملم دهشته وشخر:

-يا بت المهابيل. عليّ أنا؟

كان الصراخ قد توقف وتوقعت أن يظهر حسبو ويفتح الباب بين لحظة وأخرى، ويترك لنا العِبل الذي قطع رجله قبل لحظات لنداويه. سيوصينا بمداواة جيدة:

- بضمير. آه. علشان هناكل من وراه الشهد.

مال حسونة حتى كاد يقع فانكشف الأثر القديم برِجله،

fb/mashro3pdf

وبـدا مثـل جِلـدٍ سـلخته الشـمس، راح يحـدق إلى نهـدي ثـم مـد يـده ليهبشـه:

-الوقتي أقول لحسبو وأخليه يقطعهولك. هههههه.

غـززتُ يـده بقـرن الغـزال فتراجـع متألمًـا، لم أسـمع بقيـة مـا قاله، كانـت إحـدى عينـي تتيـه في بريـق خـرزات العقـد، فيـما الأخـرى تتابـع قسـمات الألم في الوجـه الطيـب لرفيـق السـنوات الطويلـة؛ فكـرتُ بالعنـاء الـذي تكبـده لأجـلي. ضحـكَ فضحكـتُ ثـم خطفـتُ العقـد مـن يـده وقفـزتُ إلى الخـارج، فقفـز ورائي مقهقهًـا. رحـتُ وأجـري وأجـري، قـدر اسـتطاعتي، أحـاول اللحـاق بالبنت المسـبوقة بعبـق زهـر النارنـج. البنـت التـي لم يقطعـوا رِجلهـا بعـد.

fb/mashro3pdf

خوذة روميل

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

سماء صافية، مياه شفافة تركوازية الزرقة، وأمواج هادئة تغري بالغوص بهذه البقعة من الأبيض المتوسط الذي إذا ما أعطيته ظهرك فلن ترى بامتداد الأفق سوى تلال الرمال عارية تحت رحمة السماء، ناعمة يميل صفارها للبياض، وما يبدو كالماء من بعيد يتضح أنه ليس سوى سراب، وعلى مرمى البصر تبرز شواهد قبور بأعداد هائلة، فيما يظهر عدد من النصب التذكارية لجنود من مختلف الجنسيات قضوا قبل ٧٠ عامًا، وما زال «أحفادهم» وسفراء دولهم «أكثر من ١٥ دولة» يأتون لذرف الدمع وإبداء للندم على حرب شهدت هذه الرمال معركتها الأهم «العلمين» التي حسمت الحرب وغيرت وجه التاريخ. يمسحون دموعهم ويذهبون للفندق ذي القاعات الزجاجية المكتظة بأجهزة بحثية تكنولوجية، كمبيوترات وشاشات للعرض حتى ليبدو كأنه طبق طائر حط هاهنا، يدلفون تاركين الرمال لأبنائها، بألغامها أو ألغامهم التي دسوها لبعضهم البعض وما زالت للآن تنفجر وتطيِّر ذراعًا أو ساقًا. تبتسم شادية للكاميرا وتقول: إحنا محظوظين. أنظر لرفاقها، بأطرافهم الصناعية، ويدهشني زهوهم، يقولون إنهم ينعمون بمزايا لا يعرفها الكاملون، تلاحقهم الفضائيات ويصبحون نجوم شاشاتها؛ فقْدُ يد يجعل الأخرى أقوى «تسترسل شادية»: تصبح أقوى من اثنتين معًا، فقدُ يد يمنح القدم فرصة لإظهار مواهبها، فالسجاد المنسوج بأصابع القدم على النول جاب معارض عالمية

fb/mashro3pdf

وفاز بجوائز وحقق شهرة لمنتِجه، فنال تكريمًا ووُضعت صورته بإحدى الموسوعات؛ ابتسمتُ وحركت الميكروفون بين أفواههم ونبهت «عمرو» للكادرات المؤثرة: شهادات التقدير والدروع النحاسية؛ ضحكتُ من نوادر أحدهم مع شبح «روميل» وخوذته الفضية اللامعة تحت ضوء القمر، والتي يُميلها جهة اليسار عندما يبدأ تلاوة بيانه.

- بيان؟!

يؤكد لي إصراره على تلاوته «بالعربية» عندما يصادفه واعدًا بالانتقام من زارعي الألغام، كما ذكر آخر: المرة التي أنقذه فيها روميل من انفجار محقق وكيف أخذ بيده لبر السلامة. حاولت إقناعهما بأن كل المتحاربين بما فيهم الألمان دسوا الألغام للآخرين لكنهما لم يتزحزحا عن قناعتهما بشهامة روميل. أداري ابتسامتي وأشعر أنني محظوظة بالتحقيق الصحفي، وكذلك بوقت طيب قضيته معهم، حكوا، بين رشفات الشاي في منزل شادية وزوجها، تفاصيل إصاباتهم وانتهوا بنعمة «الزوجية» فبدل اليد منحنا الله اثنتين وكذلك الأرجل... إلخ؛ إحساسي بمعاناتهم جعلني أقرر الخروج -رغم تأخر الوقت - من أجل «شادية»، سأعطيها الحذاء «البووت» كما وعدتها -سيكون أفضل لتغطية القدم الصناعية «الخُردة» التي تستعملها - فالفرصة الأخيرة هي الآن قبل هبوط الليل، فغدًا ختام المؤتمر، لن ألغي المشوار لكون «عمرو» ذهب مع إحدى السائحات أو لأن البيت يقع بالقرب من منطقة الألغام.

fb/mashro3pdf

ضغطتُ جيبي واطمأننت لوجود الكشّاف الصغير. ليس من طبيعتي التخوف من الليل، أو الفراغ أو من غوص قدمي في موجات الرمال العاتية.. لا؛ ولا من النحيب المتسرب من بيت شادية، أهو نفس البيت الذي ضج أمس بالتفاؤل والضحكات؟ ما الذي يجري؟ قالت شادية وهي تمسح وجهها إن ساقه «زوجها» تؤلمه. يفجعني وجهها؛ كيف تغير وقبح؟ لكن ذهولي من العبارة أكثر: ساقه تؤلمه. -مكان الجراحة؟ تشير برأسها: لا، وتهمس: الفراغ مطرح البتر. كيف يؤلمه والساق مبتورة؟ «أتساءل»، أسمعه يُقسم بأغلظ الأيمان إنها تؤلمه وأن البروفيسور الأسترالي أكد حدوث الألم مع أغلب المبتورين، بموضع العضو: الفراغ الذي كان يشغله قبل بتره، حيزه الافتراضي. يُقسم بتأكيد البروفيسور الكندي نفس «السيندروم»، يستأنف نحيبه، فيما تولي شادية وجهها بعيدًا، ما اضطرني لتوديعهم.. خرجت وحيدة، قلقة، فلحقت بي:

- انتظري نوصلك.

لن أنتظر.

-خدي بالك...

تقاطع تنبيهاتها خطواتي، ألملم روحي وأتحسس الكشّاف، قدماي تغوصان بالرمل وكل شيء يغوص في ظلام ثقيل، لم أَخَف الظلام يوما، لكنني أنتبه لتحركي.. بغير اتجاه. أتقدمتُ؟ تأخرتُ؟ أهو اليمين؟ اليسار؟ فقدت الاتجاه، لم أَخَف؛ هه! الكشّاف

fb/mashro3pdf

لا يعمل، لن أخاف. ولكن هذا الملمس! أتكون هي الأسلاك الشائكة! أتجمد مكاني، هل أنا داخل المربع المحظور؟ أخشى أن حرّكت قدمي ينفجر لغم. قد تتفجر ذراعي، قدمي، تصبح نتفَ لحمٍ مشوي، أسيتركونها للجوارح؟ أسيستخدمونها كوقود؟ وماذا فعلوا بجنيني «سقط رحمي»؟ أفقت من التخدير ذلك اليوم فلم أجد شيئًا، لم ينتبه أحد ليأخذ نتف الجنين؛ أجهدني الإنكار، نجوت من الموت ولكن فلاعترف بفقداني، بصحة ما قاله البروفيسوران عن العضو الشبحي، بالألم تلك الوخزة المفاجئة بعمق الرحم «موضع التصاق الجنين»، وددت أدفنه بيدي «حتى لو نتف»، أن أضع لقبره شاهدًا كهذه القبور، لربما غفا بسلام، ولم يعد بذلك الوخز الذي كأنه سيبقى للأبد.

الكشّاف تعطل، أخشى الانفجار، الألم، الإعاقة. قدمي تنزلق، وخوذة روميل تضوي...

هل مشيتُ؟ أم حملني؟ فعندما فتحت عينيّ وجدتني على كرسي.. بقاعة الندوة الختامية، وكانت حقائب السفراء بجوارهم استعدادًا للمغادرة، وبجوار الباب ظهرت شادية وزوجها يتحدثان، مبتسمين، بميكروفون إحدى الفضائيات، وفوق نفس الباب ظهرت صورته بالخوذة الفضية، قلت لعمرو إنه أنقذ حياتي ليلة أمس، فضحك:

-وماله؟ أنا وروميل واحد.

fb/mashro3pdf

دُهِشت من لمعة كاميرته «الفضية»، ثم طالعت من وراء الزجاج رمالاً لا يترك المشي فوقها سوى أثر خفيف.

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

قطار

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

جيد لو تجدين التذاكر قد نفدتْ، لو تجدين القطار معطلاً، لو تجدين أي حجة للاعتذار، مشوار مُضيع للوقت، مُجبرة على الذهاب حتى لا تغضب أمك، مع أنك من فترة طويلة ما عاد «واقعيًا» يعنيكِ غضبها، لكن اليوم أمر مختلف، اليوم تدفن من يهمها أمره، رفيق حياتها منذ مات أبيكِ، سنوات طويلة مضت، تتحاملين على نفسك وتدفعين رجليكِ فوق بلاط السكة الحديد الداكن الوسخ الذي تنبعث منه رائحة غريبة، غير محببة، وتنظرين شذرًا لقاطع التذاكر الذي لمس يدكِ وهو يعطيكِ التذكرة في شكل بدا متعمَدًا.

تسيرين وفق الإشارات خائفة من أن تكون خاطئة وتأخذكِ لمكان لا تحبين أن تكوني فيه، تتجاوزين الشبابيك مهترئة الزجاج، بما يتوارى وراءها، واحدًا تلو الآخر حتى تجدين نفسك إزاء الباب المعدن الضخم الذي كان قبل لحظة يبدو بعيدًا، تُفاجئين بالتكدس عند المدخل، تخشَين أن تهصرك الأكتاف التي تحاصِركِ كحشوة سندوتش. تسمعين صوتًا غليظًا آتيًا من وراءك يزمجر بكلمات فاحشة عن القطارات وما يحدث في القطارات. تقوسين ظهرك هربًا من عيونٍ تشعرين بأنها تحدق إلى منحنى صدرك، وتحيطين نهديكِ بذراعيك، يأتي من وراءك شاب تتبينين وسامته «المُقلِقة» بينما يعبر حتى يتقدمك وهو يهمس متسائلاً: الكمساري جوه؟ تحتارين هل من الضروري أن تجيبي: لا؟ وقبل أن تنطقي يكون قد دلف

fb/mashro3pdf

بقـوة دفـع الزحـام داخـل العربـة الأبعـد عابـرًا الوصلـة المخيفـة، كَهُـوة سـحيقة، بـين العربتـين.

الأم الشـابة التـي فضلـتِ الجلـوس بجوارهـا تمـد يدهـا نحـوك بكعكـة ذات رائحـة شـهية، تتعففـين، فتُلـح:

- ماترديش إيدي. النبي قبل الهدية.

تقضمـين مبتسـمة، يذكِّـركِ الطعـم بفـرن الخبيـز في بيتكـم القديم الواسـع، الـذي غـادره أبـوكِ مبكـرًا ثـم احتلـه زوج أمـك طويـلاً إلى مـا قبـل عـام، عندمـا أخبرتـكِ هـي بانتقالهـما إلى «ميـت الغـارب» الشـهيرة باسـم «وادي الصفصـاف». تنتبهـين عندمـا عندمـا ترفـع الأم صغيرتهـا وتؤرجحهـا في الهـواء تكتشـفين أن الصغـيرة، عاريـة السـاقين، أكـبر مـما حسـبتِ. تنتبهـين عـلى صـوت راكـب «شـيخ أصلـع» بالصـف المقابـل يهتـف: شـايفين! ويشـير لخـارج الشـباك، تنظريـن فتريـن رجـلاً مُعلـق بأعـلى سُـلَّم خشـبي طويـل، يحـرك يـده ويُرجِـع عقـارب سـاعة المحطـة إلى الـوراء. يهتـف الشـيخ الأصلـع:

- راجل مجنون. دلوقتي القطر يمشي بالعكس.

تضحكـين ويضحـك آخـرون. يهدئونـه: لا ماتخافـش. يعـود لأذنـك الصـوت الأليـف لـلأم الشـابة تهدهـد البنـت ثـم تنظـر لبقيـة الكعكـة بيـدكِ مسـتطردة: كل أسـبوع أعجنهـا وأقرّصهـا وأخبزهـا علشـان آجـي أزور «المرحـوم» وأفرقهـا رحمـة عـلى روحـه. تجفلـين

fb/mashro3pdf

قليلا وأنتِ تفكرين بقُرَص الرحمة، وبأمك والرجل الذي تدفنه الآن.. هل سينال الرحمة؟ تشعرين بشيء يتجعد داخلك، بعمودك الفقري يأخذ في الانحناء، تتشبث عينك بابتسامة الأم الشابة التي تجعلكِ تنطقين بكلمتي ثناء على مهاراتها في الخبز. لا تبدو تسمعك ولا تسمع البنت التي يعلو صوتها بضحكات لافتة، تستطرد هامسة: عشان ولاد الكلب اللي بيشنعوا عليّ ويقولوا تقتل القتيل وتمشي في جنازته. تقولشي أنا اللي وقّفت قلبه!

تشعرين بالقُرصة تقف في زورك وتُوسِعين مكانك للصغيرة التي لا يسعها حِجر أمها، تنتقلين لكرسي آخر، تختارين المجاور لعجوز محنية فوق نفسها تغط في النعاس، يلفتكِ في تلك اللحظة فرار الشاب الوسيم عند مرور الكمساري، وتضبطين نفسك تتابعينه دون تفسير. يتنهد الشيخ الأصلع وهو يقلّب الجريدة متأففًا:

- يا سااااتر! مافيش غير جرايم. اغتصاب. حروب.

يغلق الجريدة فيمد الشاب المواجه له يده، فيعطيه الجريدة، يأخذ الشاب في تقليب صفحاتها صامتًا.

من مكانك تلمحين من وراء الزجاج صفوفًا من شجيرات «جهنمية» بورود حمراء نارية فيزيد وجودها قلقكِ الغامض، وتُدهَشين من غياب الصفصاف ويتردد السؤال عن القطار داخلك: إن كان يمشي إلى الوراء!

fb/mashro3pdf

تظهر امرأة بثياب رثة ومنديل رأس يغطي قسمًا من شعرها تلوح بيدها لتبيع أشياء: أطواق شعر، بكرات خيوط، فلّايات، تتوجه للشيخ الأصلع: خد مني خليني أروح لعيالي.

-مشط؟ فلاية؟!

يضحك ويخرج من جيبه عملة معدنية يقدمها للبائعة ثم يخطفها من يدها معتذرًا:

-دي باروكة من سماحة الشيخ. ماأبدلهاش ولا بمليون جنيه.

يعيدها لجيبه ويعطيها عملة أخرى، تصلكِ البائعة وتضع الفلاية في حجركِ فتبادرينها معتذرة:

-هاعمل بيها إيه؟ تتوسلك:

- القمل كتير. بس أبيض مش باين.

تلاحظين الجهنميات ترتعد وتُسقط وردها فيتدحرج ككريات اللهب.

تسمعين البائعة تهمس بنبرة آسفة: شفت وخُفت.. الأرض تتقلب والقمل يقب ويزحف لَمّا يغطي كل حاجة.. علشان كده جبت الفلايات ومشّطت كل ركن وكل بلاطة.

-أبيض؟ تسألينها وأنتِ تتفقدين أكمام ثيابك خائفة.

تلتفتين فتجدينها ابتعدت لتتوقف عند زبون آخر.

fb/mashro3pdf

تنهض الزوجة الشابة وتترك ابنتها، تشاهدينها تدخل التواليت بين العربتين «الوصلة المخيفة». يظهر الوسيم ويجلس بجوار البنت، يهمس فتعلو ضحكاتها ويبدو هو مبتهجًا من تفاعلها معه. فجأة تشعرين بكرسيكِ يهتز وتسمعين الصوت الغليظ آتيًا من ورائك هذه المرة أيضا، يهتف بانفعال:

- إبعد إيدك عن البنت. أنا عارف انت بتعمل إيه.

الشاب يبدو عليه الذهول فتفهمين أنه المقصود بالكلام. تلتفتين فلا تتعرفين الرجل صاحب الصوت من بين الوجوه الكثيرة. تظهر الأم عائدة لمكانها، تنتبه مصدومة لما يجري، فتسأل الوسيم:

- إنت إيه اللي جابك عند بنتي؟ عملت إيه؟

يصيح الوسيم: أقسم بالله ماعملت حاجة. أنا..

- إيه اللي جابك مكاني. مين...؟

- والله ما عملت حاجة. رجلي تعبت من الوقفة قلت أقعد على ما ترجعي.

تهتف بائعة الفلايات: ماتظلموش الجدع. القطر نضيف. القمل كله زحف برا. أنا شفت كتير. لكن الجدع ده لأ. ده طاهر.

fb/mashro3pdf

تصيح الأم غاضبة:

- انكتمي. شوفوا مسؤول العربية. الكمساري فين؟

في لحظة كان الوسيم قد قفز قفزات متتالية حتى خرج من العربة وبدا قد تجاوز الوصلة الخطرة بين العربتين وفي الغالب قفز من القطار لأن الركاب الذين حاولوا اللحاق به عادوا يضربون كفا بكف. الأم الشابة تحتضن ابنتها وتبكي فتجدين نفسك بدون تحكم تهتفين بوجهها:

- بردو ماكانش لازم تسيبيها.

وتظهر خطوط وجه أمك من وراء الزجاج، تحرك يدها فوق الزجاج بالقماشة المطوية التي اعتادت أن تمسح بها الغبار والفضلات وبقع الدم، تسمعين صوتك يحدثها:

- ماكانش لازم تسيبيها لوحدها معاه. أي أم ماتبقاش أم لما تسيب بنتها مع واحد زي ده.. حتى لو.. جوز أمها.

تتوقفين؟ لكن متى؟ كيف؟ بعد كم من الكلمات؟ والدموع المنهمرة من عينيكِ لم تتوقف.

تنتبهين على صياح الشيخ الأصلع: الحقوا الحرامي.

سألوه إن كان الوسيم سرق منه حاجة؟ أجاب: بل الآخر. الذي استعار الجريدة. خدها ونزل.

fb/mashro3pdf

راحوا يضحكون، فيما كانت الأم الشابة تبكي وتحتضن الطفلة التي استمرت في الضحك.

مَدَّت بائعة الفلايات يدها ومسحت بمنديل ورقي دمعكِ وهي تهمس:

- تلاقيها ماكانتش تعرف. خلاص بقى سامحي. المسامح كريم. أشرتِ لها برأسكِ، ولكن ربما منحتها تقاسيم وجهكِ شعورًا بعدم الثقة فأردفت: اللي فات مات. مات وخلاص.

نهض الشيخ الأصلع وهو ينظر من الزجاج:

ينظر طويلا ويفكر ثم يلتف نحونا:

- تصوروا! فعلا القطر كان ماشي لورا!

تظهر أشجار الصفصاف المميزة للمنطقة في صفين طويلين متقابلين، بأوراق تشبه شعورًا ناعمة وطويلة وذات خضرة زاهية، كأنها أينعت للتو.

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

تنهَّد تنهيدة طويلة عندما سدَّ اللحَّاد فوهة القبر بحجرٍ ضخم، كان التراب العالق بالجو قد بلغ الحلوق، فيما راح قرص الشمس يدنو مسلطًا حممه على الرؤوس، فشرعت الأفواه الجافة تتسابق إلى رفع أغطية الأزيار وملء الأكواز بالماء، فيما انحرفت أقدام أخرى باتجاه بقع الظل القريبة، وبعدما انتهى الشيخ من التلاوة والخطبة والدعاء تشاركوا قراءة الفاتحة والهمس بكلمات الوداع ثم أخذوا يحثون الخطى متفرقي الطرق، فيما ظل هو بقية النهار جالسًا ليقرأ لها القرآن ويطمئن على الصبارة التي غرسها بيده عند قدميها.

لم يستأ لِكون القهوة لم تأتِ «سادة» كعادة المآتم، ولا من الأصوات المتباينة:

- صبرت ياما. وبكره تنول الخير إن شاء الله.

لأنه تحمّل كثيرًا، صبر طويلاً، استبدلت بعبارات العزاء التقليدية كلمات للتحريض على تعويض ما فاته من سنوات الشباب مع زوجة مريضة:

- عملت اللي عليك وزيادة. ربنا يعوضك بأحسن منها.

- أحسن منها؟! يقلب شفتيه متشككًا.

رغم الأسى لم ينسَ أنها حرمته حقًا من حقوقه...

fb/mashro3pdf

-تتجوز! وماله انت حر. بس تطلّقني الأول.

-أطلقك!

لمس بذور الريحان التي أخذها معه بنية غرسها عند قبرها كما أوصته، وتذكّر كيف فوجيء بيده تعيدها إلى جيبه وكيف سمع همسًا داخله:

- الصبَّارة حلوة. تكفيها سقاية مرة كل عام.

حرمها من الريحان الذي تحبه وتجفف بذوره وتخزنها كي تعيد زراعتها.

يطرق برأسه نحو الأرض عندما يسمع أصحابه يرددون بنبرة واثقة:

- فلان.. أول ما عرف ان مراته جالها المرض ده راح اتجوز. وبيبعت لها مصاريفها كل شهر.

-عدًاه العيب.

- حقه وحلاله. هيه مريضة وهوه مقتدر.

تهمس أمه في أذنه:

- حلالك بلالك ورزقك نادالك. ومادام مراتك مرضت يا حبة عيني يبقى من حقك تتجوز.

fb/mashro3pdf

ثم يعلو صوتها بانفعال: وأصلا ده حقك حتى من غير ماتكون مريضة.

إذا كان هذا رأي امرأة مثلها «ليس فقط أمه، بل بعض صديقاتها أيضًا»، فكيف يرفضه هو؟ وفيما اعتبرها حرمته، بردُها الحاسم، حقًا من حقوقه الشرعية، لاحظ منذ تلك اللحظة تغيرها، إذ راحت ترمقه بنظرة غامضة؛ لم تغير معاملتها المثالية له، ظلت حتى يومها الأخير تعامله كملِك، عدا أثناء النوبات التي لم يكن يبارح فراشها خلالها، حتى إنه كان في الشهور الأخيرة يحملها على ذراعيه وعلى رموش عينيه إذا احتاج الأمر. كان الكثيرون يحسدونهما رغم وعورة الظرف.

نظرتها الغامضة هذه لم يتذكرها إلا مع العروس الثالثة، أي بعدما تكرر الإخفاق في التواصل ثلاث مرات «ثلاث زيجات".

-لماذا؟ ما عيبي؟ ما عيوبهن؟

استعاد امتعاضه من ضحكة الأولى:

- سخيفة، وأيضا لفمها رائحة بكابورت.

وخوفه من مكر الثانية:

- خِنِّيسة، تاكل مال النبي وتحلي بالملايكة.

واختناقه من سيطرة الثالثة:

fb/mashro3pdf

- ثقيلة.. يا ساتر! لو قعدت عليّ تفطسني.

استعاد أيضا اندفاعه في إنهاء الارتباط.

يمصمص شفتيه وهو يهبط بنظره لما بين ساقيه ويلوم كائنه الذي تسبب له في حرج شديد مع ثلاثتهن:

- لا يهش ولا ينش!

- فين أيام صولاتك وجولاتك؟ لما كانت الله يرحمها تعقد شعرها بالفيونكة الحمراء فتعرف عن لهيب رغبتها! كنت دومًا تكسب المعركة والحرب كلها. ماذا دهاك؟

بعد الفشل يحلو التفكير، لم تنفعه استشارة رجل الدين ورجل العلم، ما أعاده لأمه:

- عاملة لك عمل أكيد.

يضحك. في الليل سمع نهنهتها. أحسها بحرارة جسمها تهف من الفراش بجواره وما أن انحنى ليقبّلها حتى اختفت، مخلفة صوتها... بنبرة ألمها التي عرفها لأول مرة لحظة صارحها برغبته في الزواج.

ولكنها توفيت قبل أن يتزوج.

- فلمَ الانتقام؟

ألأنه حرمها من الريحان الذي تحبه؟ أم لأنه أذلها فوق

fb/mashro3pdf

إذلال المرض بالشروع في الزواج بأخرى؟ سأله صوتها المتألم: أكنتُ أفكر بغيرك لو أنك مرضت؟

-هه! شهق متأثرًا بصوت ألمها.

استقر، رغم ثقته بحبها، على كَونها وراء معاناته. نعم، تنوي أن تتغص عيشي وتحرمني من السعادة. وتحرمني ألا أكون لغيرها.. ستجعلني أضحوكة؟

نعم؛ ستعتبر الانتقام حقها. لن تتنازل عن ثأرها؛

هو أيضا لن يتنازل عن ثأره.

لم يبتسم لـ«الواد حودة» الذي أخطأ وأتاه بقهوة سادة بدل الزيادة:

-نسيت؟ بقى لك عشر سنين في القهوة دي بتجيبهالي كل يوم زيادة. وفجأة نسيت؟

تركه ومشى، تحمّل حرارة الشمس وملوحة العرق وتورم قدميه ووخز الهيش لصدره وعنقه حتى وصل، كان الحر قد انكسر وأتى النسيم رطبًا منعشًا، وجد الصبّارة «مفعوصة» كأنما داستها عجلة سيارة، وبجوارها ظهرت تباشير ريحانة ناهضة بفوح منعش، مد بصره فأدهشه أن الحجر الضخم لم يبارح مكانه.

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

تلصص على أنقاض

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

يذكرني غسيل أسناني لحظات التعجل والتوتر بقطار السكة الحديد. الفرشاة هي القطار وأسناني هي القضبان. القطارات كثيرة والسكك متعددة بينما الحديد لا يشبه إلا ذاته.. هناك حيث المنجم -تأخذني الشاشة - تنتصب هامات الرجال، لا يأبهون للوَحشة ولا للظلام، لَيلهم مثل نهارهم، يتصببون عرقًا، صيفهم مثل شتاؤهم، والحديد لا يشبه إلا ذاته... يمرر أحد الرجال جهاز استشعار يكشف عن وجود الخام فيبدأ التهليل، وقد يستدعُون إذا تعطل جهازهم عجوزًا عمياء تنقر الصخر، بإيقاع ثابت بأصابعها الدقيقة، حتى إذا أوقفت النقر أو غيَّرت الإيقاع عرفوا أنهم قد بلغوا هدفهم فيبدأون الحفر. وفي شاشة أخرى يهز الضحك الإستاد عندما يعلو هتاف النجم «عادل إمام»:

- الأهلي حديد.. وأنا رُكبي حديد.

فيما تُظهر الكاميرا ركبتيه ترتعشان فيرتعش معهما الجسم كله، كأنه مصاب بالشلل الرعّاش، المرض الذي يجمع النقيضين: الشلل والحركة، الرعشة التي لا تتوقف، ولهذا تكتسب اعتياديتها، رغم كونها الأكثر تراجيدية وكوميدية.

*يأخذني هذا التناقض إلى صورة امرأة في عنفوان شبابها، لديها ولع بالورود لذا تجدد صورها في بروفايلها بموقع التواصل، سأسميها «سيدة الورد»، تبدو كأنها تُوْدِع ثقتها في شيء اسمه

fb/mashro3pdf

«الحب» تكتب عنه العبارات المأثورة التي تصفه بأنه أقوى ما بالوجود..

- يواجه ويتخطى.

تقهقه من ركبتي «عادل إمام» ثم تضغط الزر لكي تتفرّج على الفيلم «العاطفي»، لحظة الاقتراب الأول عندما يرتعش شيء ما في وجه البطل، بخلاف الرجل الذي ألمحه على السرير بجوارها يُقلّب عينيه، بثباتٍ، بين شاشة الكمبيوتر والأوراق. يبدو مشغولاً..

- أكثر إنسان مشغول في العالم!

- شُغل؟ أم مواقع إباحية؟ تتساءل في نفسها.

تسخر من تحت جلدها. وتحرص على ألا تقاطعه. تدمج نفسها أكثر في الفيلم لحظة تلاقي البطل بالبطلة في قُبلة بدأت بحركة خفيفة ثم تحولت الآن إلى «عنف».. أحد أنواع العنف العاطفي الذي ينهال على دواخلها كالسوط.. «مشاعر، احتياج، هرمونات تدفع بذكريات أيام الخطوبة، بقبلاتها المُستعرة، لهفاتها، وتوترات الحب الأولى، إلى سطح ذهنها»، تتزايد أنفاسها مع المشهد، تنتبه لعينه تراقبها، بحرص من لا يريد أن ينكشف أمره، أو من يرفع شخيراً متكلفًا بعد أن يعطيها ظهره هامسًا: تصبحين على خير.

يلتقيها بابتسامة هادئة في الصباح وهي تغسل أسنانها -برفق

fb/mashro3pdf

حتى تزيد بياضها دون أن تنزف لثتها - يوَدعها بقبلة خاطفة على جبينها، فتتوقع أنها ستجد تحت وسادته دليل خيانته، فلا تجد سوى «فلاشة» مغلقة تحرق دمها الذي نزفته لثتها رغم كل الحرص. تنظر للباب.. مفتوح لكنها لن تخرج، لأنها مربوطة «كالدواب؟» بوهم اسمه الحب، هكذا صارت تصفه بالوهم التافه، فالحب الذي كان في الماضي صلبًا وعفّيا لم يعد كذلك، إنه عليل وأعراض علته ليست فقط في تصنُّعِه النوم أو الانشغال بالعمل، ولا في تجاهله إياها وهي نائمة بجواره، أو حتى في فلاشة تحمل صور فحوصه الطبية، التي تؤكد عجزه بعد تعرُض المنجم لانهيار مريع لم ينجُ هو من تبعاته، بل في تلك المسافة من المداراة والتحصن كأنما من عدو، ثمة صوت يأتي من داخلها، يقول إن «الحب» أصيب بالشلل الرعاش.. لا هو ميت ولا هو حي.. مسكين.

تأخذ شهيقًا عميقًا ثم تذهب لتجدد ورود وعبارات البروفايل.

ضغطة زر تخترق الاتجاهات الأربعة للكوكب.. بحرية قصوى، وبحصانة لا تخترقها إلا أجهزة استثنائية، تتوافر لمستحوذي الأقمار الصناعية، ولأجهزة الأمن التي تتعقب الهاكرز والإرهابيين. حصانة تتيح تلصصًا مشروعًا لِكَونه تلصصًا على عالم مفتوح، وكذلك: متاحًا للجميع.

*هذا الذي كتب على صفحته إنه رأى حلمًا كالكابوس، نهض وهو بعد لم يلملم أطراف روحه، ليبحث عنها، عن

fb/mashro3pdf

هـذه التـي زعزعـت طمأنينـة حُلمِـه، كانـت زميلتـه بالابتـدائي، مثلـه مـن مواليـد بـرج الجـدي، أيـن تراهـا الآن؟ ولِمَ ألحَّـت عليـه طـوال نومـه؟ يضغـط الـزر «السـحري» الـذي يـأتي بالنـاس مـن شـتى نواحـي الأرض، بدايـة مـن رفيقـات الفِـراش وحتـى خليـلات الشـات.

«ليـلى فـوزي» عـلى اسـم النجمـة السـينمائية المعروفـة التـي تحظـى بشـعبية عاليـة، وكانـت مثلهـا شـقراء، «ليـلى فـوزي».. تظهـر كثـيرات بنفـس الاسـم، لكـن هـذه ليسـت ابنـة بلدتـه، البلـدة التـي اكتشـفا معـا أزقتهـا وحواريهـا وغيطانهـا ومقابرهـا: هـذه ليسـت مـن مواليـد الجـدي، وكانـوا في الفصـل يُغنـون لهـما معًـا: عيـد ميـلاد أبوالفصـاد، فيشـير كل منهـما إلى الآخـر ليلصـق بـه الوصـف أو يقذفـه بالتورتـة. نعـم، يتذكـر أنـه كـسر لهـا سِـنًا، أو تسـبب في ذلـك عندمـا دفـع برأسـها حتـى اصطدمـت بالحائـط. أراد أن يعتـذر لهـا، لكـن مـن غـير معقـول أن تكـون هـي التـي تُركِّـب الآن جهـاز تقويـم للأسـنان، وكأن السـنين لا راحـت عليهـا ولا جـاءت. نعـم، ربمـا تكـون، كعـادة النسـاء، زيَّفـت عـام مولدهـا عـلى الصفحـة لتجعـل نفسـها تبـدو أكـثر شـبابًا، لكـن ليـس إلى هـذا الحـد، ولكـن لا بـد أن يجدهـا، إنـه مُحـاصر باسـمها، بذكراهـا، ربمـا تكـون هـي هـذه التـي تتباهـى بصورتهـا مـع الفنـان الصاعـد، شـبيه «مايـكل جاكسـون»، ولكـن لا، لم يكـن أنفهـا بهـذا الطـول، ربمـا تكـون هـذه التـي هاجـرت إلى كاليفورنيـا وتقـوم بالتدريـس بإحـدى جامعاتهـا.. أوه! مـاذا تـراه سـيقول لهـا عـن نفسـه لـو أتت

fb/mashro3pdf

في اجارة، لا؛ لا يمكن تكون هي، فهذه تعيش مع صديقة.. لا يمكن، أوه لا؛ ليتها حتى غريبة الأطوار هذه، أي شيء.. عدا أن تكون هي التي كُتبت لأجلها قصيدة..

- بكل هذه الفجاجة والافتعال!

يتمتم آسفًا، فالذكرى العشرين لوفاتها هي التي ألهمت ابنتها قصيدة الرثاء.

*المرأة التي تعيش في ظل نظام ذاتي حديدي، منحت نفسها هامشًا من الحرية للتجول بأحد مواقع التواصل رافعة راية «الخاص ممنوع»، هناك؛ بعد خبراتها المؤلمة مع طبائع البشر تحب أن تختبئ وراء الشاشة مستريحة لاجتناب العالم الواقعي، أكسبتها خبرة الهرب والاختباء القدرة على لملمة أطراف ذاتها والاحتماء الصارم بوحدتها، أكسبتها كذلك فضيلة «كف الأذى»، وصولاً إلى اختراع واقٍ «من الإيدز» تتطلبه اللقاءات الخاطفة في الغرف السرية لأحلامها، حتى تستيقظ من النوم أحيانا لتبحث عن سروال تركته فوق أحد أسرة هذه الأحلام التي تُضطر إلى وصفها بالكوابيس، وتشرع تُعلم نفسها كراهيتها، بنفس الدأب والإخلاص الذَين علَّمت نفسها بهما اجتناب الناس والمحافظة على أسنانها لأن: «من خاف سَلم» ولكنها بعد كل الحرص، تُصدم هذا الصباح، حينما تحس بألم من الماء البارد يؤكد وجود فجوة عميقة نتيجة تسوس بأحد أضراسها. فجوة تقوض الأمان الحديدي الذي بذلت جهدًا هائلاً لتجنيه، تجعلها تعاني

fb/mashro3pdf

ألمًا أكبر بكثير من حقيقته، وتفتح باب الذعر على مصراعيه، تتساءل: ترى؛ من يتجسس الآن على خلاعة أحلامي؟

*على صفحته الشخصية كتب عن آدم الذي يحب حواء، وعن حواء التي تحب آدم منذ بدء الخليقة، منذ زمالتهما أيام الدراسة الجامعية، بينما يفكر بأنهما منذ زمن طويل لم يعد أحدهما يحب الآخر، فالحب لم يبق منه سوى أنقاض، لكن الجميع: الأبناء والأهل والأصدقاء «الذين صاروا آلافًا بمواقع التواصل» ما زالوا مصرين على وجوده ولو كشبح يطفو فوق جثتيهما، تمنى أن تتركه لكنها لم تفعل، وأخفقت محاولاتهما لتحسين العلاقة، يصارح نفسه، فلم يعد بإمكانه ادِّعاء استتباب الأمن والأمان، فكل تقاطع بين نظرتها ونظرته يبدو كحادث تصادم ويؤكد وجود فوضى «لابدة» لا تحرض إلا على جريمة ما. أنه خائف من نفسه، حائر، ولا بد أنها مثله، يفكر، يأسف لافتقاده موهبة البوح وشجاعة مواجهة توقعات الآخرون، فكل ما تعلمه عن الرجولة والكياسة يخص الاحتمال. ومع ذلك يضبط نفسه أحيانا يفكر في الجريمة الكاملة، ومن منهما سيرث أكثر إذا بادر بقتل الآخر؟ يرد بإبهامه طربوش البورسلين السائب فوق السن المهترئ، ثم يذهب ليضع «لايك» على عباراتها «المفخخة» المأثورة امتثالاً لتوقعاتهم.

*هذه المرأة لا تكف عن إغراق صفحتها بصور القطط، ولا تحب أن يدري أحد عن شغفها بالقفز عاليًا وكتم آهة الاصطدام الذي تعرف بحدوثه مسبقًا، وفيما يبدو أنها تجهل

fb/mashro3pdf

السبب الحقيقي في الانخفاض المُقبض للسقف، ومع ذلك تسعى لهذا الاصطدام، لأنها ترغب أن ترفع هذا السقف قليلاً، حتى لو بدا صعبًا أن يرتفع بشكل ملموس مهما بلغت القفزات ومهما كان تتابعها. وحتى لو أملتْ أن تستعين بقرون فحلة «لا أُذني قطة رقيقة» لتنطحه وتحطمه، وتستعين كذلك بأنياب مصاصي دماء تُرهب بها من يفكر أن يمنعها، لكنها لم تفعل، فقط اختارت اسم «خالدة بنت الوليد» ومنحته كامل عفويتها وجموحها وأحلامها، وكل الحرية في التعبير بصفحة مستقلة. تختار خالدة بنت الوليد أيقونة صفحتها: ثوروا تصحوا. هي أيضا مصلحة اجتماعية، متحررة عاطفيًا. ثم تبكي «القطة» وتتعجب كيف تسرق منها «خالدة» كل هذا الإعجاب والمشاركات؟! كيف تستأثر بكل هذا الحب؟! ولمَ لا تستطيع هي أن تكونها؟! ما الذي يمنعها؟ تنكش شعرها وترقص على أنغام «شاكيرا» ثم تسرع إلى صفحة «خالدة».

أترك القطار ورائي، ثم أضغط زر الإغلاق لكي لا أراهم، ولا أراني، ولا أتحسس سني المخلخلة ولا باب النجَّار، لكن أصواتهم تظل بمخيلتي، بعضهم يتهمني بتشويهه، يرفض انتهاك خصوصية جنونهم، ثمة من يكتب، يكذب، أو يقهقه من هتاف عادل إمام:

-أنا رُكبي حديد.

ثمة من يستمر بالغناء لمحبوبه..

fb/mashro3pdf

مسكين من يطبخ الفأس

ويريد مرقًا من حديده.

fb/mashro3pdf

مراوغات بسيطة

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

ضخم الجثة طويل الشعر جهم الملامح خليقٌ بأن يكون هو السفّاح الذي أخبرتني سِتي «حنونة» عن أنه يقتل النسوان.. يجدون جثثهن العارية طافية فوق سطح البحر الذي يُطلقون عليه بحر موسى، بينما وفقا لكتاب المدرسة له وصف آخر...

- هو بحر؟ ولّا نهر؟ أسأل أستاذ الفصل فيبتسم:

- هتفرق معاكي إيه!

عندما أخبرتها إني رأيت السفاح وهو يكوِّم الجثث فوق بعضها.. عارية وشاحبة إلى أقصى حد ثم يشحنها في النصف نقل التي تأخذ طريق الأسفلت ضحكت سِتي حنونة وقالت:

- قصدِك الواد زعيزع بتاع ورشة المانيكانات؟! مصمصت شفتيها ثم استطردت:

- يا ماما دول بلاستيك.. بلاش هبل، نامي.

لم أنم ولا حتى بعد أن تسلقْت في اليوم التالي السور ووصلْت إلى النافذة، بسرعة في ضربات قلبي وحدة في نظرة عيني جعلتني أرى من بين خصاص الشيش «أبلة فايزة» جارتنا الشابة ترتجف، من شدة الذعر، فيما ينزع عنها السفاح ثيابها قطعة بقطعة..

fb/mashro3pdf

التقطتُ أنفاسي بصعوبة وأنا أجري في الشارع ثم أقفز درجات السلم، وعند بسطة الشقة التقيتُ سِتي حنونة فصحتُ:

- السفاح هيموِّت أبلة فايزة، الحقيها.

- إيه؟! إهدي بس.

لم أهدأ.

- قلّعها هدومها كلها وهيموتها.

فوجئتُ بها مذهولة:

- مين؟ زعيزع؟!

أومأتُ برأسي إيجابا فإذا بها تنفجر مقهقهة، وتروغ عيناها يمينًا ويسارًا فصحتُ متعجبة:

- باقول لك هيموِّت أبلة فايزة.

علا صوت لهاث عم نبوي طالع السلم يجرجر قدميه العجوزتين...

- حد بيقول أبلة فايزة؟

غمزتْ لي سِتي حنونة بعينها كي أصمتَ، فقابلتُ ابتسامته الطيبة بابتسامة كاذبة وخبيثة - تعرفتُ عليها هذه اللحظة ولم

fb/mashro3pdf

أنسَـها بعـد ذلـك قـط - فيـما ردتْ هـي بثبـات:

- لا ياخويا مانستغناش.

لم تضطـرْ بعـد ذلـك لتخويفـي مـن نـزول الشـارع بقصصهـا المرعبـة عـن خصـلات الشـعر المقصوصـة، أو عـن الكعـوب العاليـة الرفيعـة لأحذيـة نسـائية غطـتْ نقوشـها قطـرات دمـاء، لأن أبلـة فايـزة تكفَّلـتْ بإراحتهـا مـن مشـاوير التسـوق ومـن أعـمال أخـرى بالبيـت «ردًا للجميـل»، لكـن هـذا لم يمنعنـي مـن انتهـاز الفـرص، بـل وأحيانـا النبـش بحثًـا عنهـا، للتلصـص عـلى تفاصيـل التعذيـب المتبـادل بـين كثيريـن مـن سـفَّاحين وسـفَّاحات بلدتنـا، خاصـة في وقـت التمشـية والتنـزه عـلى كورنيـش البحـر.. الـذي ربمـا يكـون نهـرًا.

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

مِداد البحر

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

- «زليخة» تجلب الفقر. لن أعيش معها في بيت واحد.

هـذا مـا قالـه أخـي الكبـير قبـل أن يجمـع أوراق مشروعاتـه الخـاسرة ويغـادر البيـت. حدقـتْ بي أمـي طويـلاً ثـم جلسـتْ تدنـدن عـلى عُـود أبي المتـوفى قبـل شـهور، وتقـول: هـوَّ حُـر.. يقعـد مطـرح مـا يحـب.

وفي الليـل ألمحهـا مُسـهدة وحزينـة. ذهبـتُ لأخـي وأخبرتـه أن السـلحفاة غـادرتْ، فعـاد. كنـت قـد خبأتُهـا تحـت سريـري واتفقـتُ معهـا ألا تصـدر عنهـا أي حركـة، ناهيـك بكونهـا مـن الأسـاس لا تصـدر عنهـا أي حركـة. لكنهـا فهمتنـي عـلى أي حـال، كل يـوم أضـع لهـا وريقـات الخـس الخـضراء فتـأكل وتكـبر، فنسـهر ونغنـي ونـأكل، فتكـبر ويعلـو السريـر، حتـى اكتشـفَها أخـي فثـار، وكان عـلى وشـك المغـادرة وكانـت أمـي عـلى وشـك أن تنحـاز لي مـرة أخـرى لمعرفتهـا بمـدى تعلقـي بزليخـة، فاسـتبَقتُها وأقسـمتُ إنني سـآخذ زليخـة إلى البحـر وأدفعهـا لتبتعـد داخـل الميـاه. نزلـتُ لهـا تحـت السريـر ولم أضطـر لـشرح شيء، فقـد كانـت تفهـم كل شيء، وعندمـا خرجـتْ معـي رأيـت مكانهـا تحـت السريـر بيضتـين كبيرتـين، أصابتنـي الحـيرة وفي النهايـة تركنـا البيضتـين وسرنـا أنـا في المقدمـة وهـي ورائي حتـى وصلنـا إلى البحـر، دفعتهـا قليـلاً آملـةً أن تتحـرك وحدهـا فلـم تفعـل، ركبـتُ فـوق ظهرهـا وجدَّفـتُ بسـاعدي فتحركـتْ قليـلاً، شـيئًا فشـيئًا صرنـا في قلـب البحـر، وبـدأ

fb/mashro3pdf

الظلام يهبط والرياح تثور، أنتبه وأغفو، والليل يصافح النهار وأحيانا يخاصمه، والأمواج تعلو فتعلو بي زليخة حتى ننجو ثم تهبط، ولما سكنت الريح وهدأ الموج راحت تغوص بي، بعد أن دبرتْ لي مرورًا آمنًا تحت صدفة كبيرة مدهشة تشبه القناع، لم أقرأ عنها في أي كتاب من قبل، رغم شغفي بقراءة الكتب، خاصة كل ما كتب عن الأحياء المائية. أعارتني «زليخة» هذه الصدفة التي أمدتْني بما أحتاجه من خياشيم لكي أتحوَّل، في التو، إلى فصيل البرمائيات، كما أننا مهَّدنا عودًا طويلاً من البوص ودعمناه بصحائف صخرية متينة كي يرتفع وقت اللزوم فوق سطح الماء، وهكذا بلغنا أدغال شعاب مرجانية وغابات شاسعة تحت سطح البحر، تسكنها قطعان من الحيتان وتخبئ فيها غذاءها من اللافقاريات والحبَّار، أمكنني أن أرى البحر أرضًا وسماء، ليله ونهاره وأسراره، وأن أتعرفَ على قنفذ البحر وأتجنب وخزاته، ذهلتُ من براعة نجم البحر في فتح صدفة المحار والتهام الحيوان الصغير بداخلها، ومن قدرته على طرد معدته كلها إلى الخارج، ومن قدرة أنثاه على وضع ملايين البيوض. صادفنا انفجارًا مروعًا قوض كهوفًا فانبعثت منها عوالم أصغر: مرجانيات، رخويات وإسفنجيات، حلزونات، خرطوميات الجوف، وكذلك تعرَّفتُ أسماكًا لم أكن رأيتها من قبل، كسمكة الفراشة وسمكة الشِراع وسمكة الصندوق، وتعلمتُ صداقة الدلافين الناعمة وتجنب شوكيات الجلد، رأيتُ السمك الكبير يبتلع السمك الصغير دونما رمشة عين تشي بتأنيب الضمير، ورأيتُ آدميين، بحَّارة وجنودًا، لفظتهم البواخر ودثرتهم

fb/mashro3pdf

الدوَّامات في أكفانٍ من الرمل حالت دون تحلل جثثهم وبدوا كتماثيل منحوتة بالصخر.

لا أعلم متى بالضبط أدركتُ أن الوقت تأخر، وكنا سنعودُ أنا وزليخة أدراجنا لولا أن ظهرتْ أمامنا سمكة بشعر يغطي بلادًا بأكملها، قالت إنها البنورة.. رسولة الماء والهواء، والتاريخ والجغرافيا.. المتصوفة في محراب المعرفة وخاصة معرفة الذات التي تخرج منها باللآلئ. أحبتني البنورة كأنني ابنتها وصرتُ مكفولةً من الاثنتين، زليخة تكفلتْ بمتطلباتي البدنية، بما في ذلك تدبير أغذية الحديد لتعويض جسمي عما يفقده في دورة الثمانية وعشرين يومًا، وكذلك حمايتي من أشعة الشمس أوقات الذروة حتى لا يصاب جلدي بالحروق أو أتعرض لمرض خطير؛ فيما تكفلتْ البنورة بدفعي داخل متاهات حكاياتها، وإكسابي مهارات التأمل والتحليل وغيرها من المتع الذهنية، إلى أن اجتاحني هاجس قلَق والدتي عليّ، وسلبني متعتي فأدركتُ أنها ساعة العودة...

لحسن حظي أن رئتيّ ظلّتا طوال تلك الفترة محتفظتين بكامل اللياقة، فسرعان ما استعدت طبيعتي البرية. لم يعرفني أهل بلدتي للوهلة الأولى، واحتجت أنا أيضا لفترة حتى أتذكر بعضهم؛ وجدتُ أمي وقد بدت عجوزًا، بينما ثيابي التي تركتها لا تغطي سوى ثلثي قامتي، واكتشفتُ أنني غبتُ لأكثر من عام. قالتْ أمي عندما لاحظت استيائي من منظر البيت إن أخي لم يترك سوى منخل كبير، تقضي نهاراتها تغربل البندق

fb/mashro3pdf

لأجل الفنادق وتتقاضي ما يسُّد، بالكاد، رمقها. وكان عليّ بالتالي أن أفكر فيما سأفعل لكي أعيش، خاصة أن «زليخة» تعبتْ وما عادت قادرة على إعادتي للبحر، كما أن اللآلئ التي ادخرتُها من رحلتي لأجل أمي ضاعت دون أن أنتبه، إضافة إلى كَون الرحلة قد ضيَّعت عليّ فرصة استكمال تعليمي مثل باقي البنات، لكنت أعمل بوظيفة معتبرة. لكن لا شيء لديّ، لا شيء عدا.. إذا أمعنتُ النظر داخل نفسي طويلاً فسأجد أنني أمتلك ذاكرتين لحسن الحظ، ذاكرة الكتابة التي كنت بارعةً فيها منذ يفاعتي، وذاكرة البحر وبنورته وباقي سُكانه: طيبين كانوا أو قساة؛ وبالتالي ليس من بديل عن كتابة هذه الحكايات التي يمد لي خيطها تلك الفسائل الرفيعة من الخياشيم التي ألفظها مع سعالٍ مائي من نوع خاص يضخ، على الفور، نشوة الإبحار في دمائي. وأول هذه الحكايات ستكون عن مصير بيضتين.. أخبرتني أمي أن أخي حصل على ثروة جيدة من بيعهما، بعد أن وجدهما تحت سريري، بيضتين ندمَ على بيعهما لأن من اشتراهما أثرى ثراء هائلاً بفضلهما، بينما بدد أخي كل ما لديه.

تبادلت وزليخة النظرات، ورغم حزني على سفره لم أتمالك نفسي من الضحك.

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

ارتعشتْ عيناه المُغلَقتان ورموشه المتشابكة وهو غائب عن الوعي يتمتم بِنُتف كلمات غير مفهومة، شيئًا فشيئًا راحتْ تمتمته تصبح همسًا، ثم راح همسه يتحول إلى صراخ هستيري ينتفض على أثره جسمه المقيد الأطراف إلى زوايا السرير الأربعة «حماية له من إيذاء نفسه» وتبرز عيناه من محجريهما. استمر لدقائق في نحيب موجع إلى أن همدتْ طاقته وفقد الوعي مرة أخرى.

خلعتُ المعطف الأبيض واستبدلتُ بنظارة القراءة الأخرى الخاصة بالمشي. بداية اليوم كانت نهارًا شتويًا حارًا، وعندما وصلتُ لمعاينة مكان الحادث كان الليل موشكًا على الهبوط والجو آخذًا في التَلطُف.

أخذتُ بنصيحة زميلتي ولم أدخلْ الشارع.. «لا من جهة الميدان، ولا من طريق المدرسة القديمة، بل من زقاق رفيع تفتح نهايته على الشارع، منتصفه تقريبا». أخبرتني كذلك عن «أم فاروق» بائعة الجرائد التي تسمع دبة النملة بالشارع وتعرف كل ما يجري.

في منتصف الزقاق رأيتُ عجوزا تقف امام بوابة بيت من ثلاثة أدوار، أشارت لشباك الدور الأرضي مبتسمة:

- اتفضلي عندنا. ماينفعش حد يعدي كده.

fb/mashro3pdf

لم يبـقَ برأسـها شـعرة واحـدة سـوداء، لكـن ضحكتهـا حلـوة، وعصـير البرتقـال كذلـك. حكـت عـن هجـرة أولادهـا وعـن وحدتهـا، وأصرت أن أُكمـل الكـوب وعندمـا صرتُ عنـد البوابـة استوقفتني:

- أنا عارفة سبب مِجيِّك.

وأشارت إلى الشارع، إلى أسلاك الكهرباء بين عمودي إضاءة:

- ملايكـة بجناحـات سـودا كبـيرة. يقفـوا عـلى السـلك صـف واحـد.. ويدندنـوا. باسـمعهم بالعافيـة. المـرة الأخرانيـة قالـوا هـاتي لنـا ربـع لـب عبـاد الشـمس مـن المقلـة. عـلى بـال مـا رجعـت مالقيتهومـش.

كل شيء كان مـاشي تمـام لغايـة موضـوع لـب عبـاد الشـمس! ودعتهـا وضحكـتُ في سري.

قبـل نهايـة الزقـاق رأيـتُ تيـار ميـاه نـازل مـن أعـلى بنايـة قديمـة مـن طابـق واحـد. اكتشـفتُ متأخـرًا أنـه بـول، فَهتفـتُ أُوبـخ الصبـي الـذي «عملهـا» مـن فـوق، تراجـع عندمـا رآني وفي ثانيـة كان بجـواري في الشـارع. توقعـتُ أنـه أتى ليعتـذر لكنـه لم يفعـل. كانـت ثيابـه مهلهلـة، وقدمـاه حافيتـين متسـختين، وحالـه تؤكـد انتـماءه لمـن يطلقـون عليهـم «أطفـال الشـوارع» خاصـة عندمـا لمحـت جرحًـا قطعيًـا أسـفل عينـه...

-مش جرح. دي شامة. عشان كده بيقولوا لي سيد أبوشامة.

fb/mashro3pdf

سألته عن أم فاروق، في لحظة كان يتقدمني حتى دخلنا الشارع. توقف أمام «فرشة» أي غطاء، تظهر أطراف الكتب من تحتها. وفي لحظة كاد يختفي لولا أنني أشرت له لكيلا يبتعد. اقترب وانتظر ليرى كم سأعطيه... ثم قال:

- أنا عارف كل حاجة بس مش هاقول أي حاجة.

لم أعلق، وبينما نحتسي الشاي الذي أحضره من مقهى بالشارع المجاور قال:

- حسن قال مافيش عفاريت. الشارع ده مافيهوش عفاريت خالص.

وكان انتباهي مشدودًا إليه عندما لمحتُ شيخًا على الناصية المقابلة يحمل قارورة ماء وممسحة. التفتُ للولد «سيد أبي شامة» يقول:

- حسن قال إنه شاف بعينيه اللي هياكلهم الدود.. جدعان بتطير فوق العواميد.

- تطير؟ لم أستطع منع نفسي من الضحك. بدا مغتاظًا، صمتَ لحظة ثم ردَّدَ بثقة:

-أيوه بتطير. مش واحد. ده صف طويل. أغلبهم بترنجات وشباشب. بس إيه.. جامدين

حسن مايكذبش.

fb/mashro3pdf

- وفينه حسن ده؟

أشاح بوجهه بعيدا وبعد لحظات لم أجده بجواري، وفيما تلفَّتُ بحثًا عن أم فاروق لفتني انهماك الشيخ في سكب الماء على الأسفلت ودعكه بالممسحة. أتي صياح من أعلى، فارتقيت ببصري فرأيت امرأة تناديه أظهرت الكلمات أنها ابنته، ورد هو:

- مش طالع. الحتة مش راضية تنضف أعملك إيه؟

وعندما لمحني وجه إلى كلامه شارحًا:

- الأرض بتتقيا كل اللي شربته غصب. دم ولاّ عرق ولّا دموع... كله كان غصب.

تعالى نداء ابنته. نظر نحوي شاكيا:

- أعمل لها إيه دي! مش فاهمة حاجة. همستُ:

- ماعلش. ويبدو أنني حركت قدمي لأنه بادرني منفعلاً:

- حاسبي. دي دموع اللي انتي بتدوسي عليها.

- دموع؟! أحسست بشيء يهتز داخلي. استجمعتُ نفسي قليلاً، وركزتُ على ضرورة إنجاز مهمتي فسألته:

- ماتعرفش أم فاروق فين؟ حدق بي، فأردفتُ:

fb/mashro3pdf

- عايزاها ف حاجة ضروري. راح يضحك ثم انهمك في مسح الأسفلت مجددًا، وعندما اقتربت الممسحة من قدمي فضلتُ الابتعاد بالاتجاه الآخر، ومددتُ الخطى لاستكشاف امتداد الشارع فاستوقفني صوته صائحًا:

- لأ بلاش تبعدي. كفاية اللي جرى.

-إيه؟!

فتح فمه ولم يقل شيئًا، فقط صوت كبح للكلمات مثل غلق ضلفة دولاب.

"هي ليلة ما يعلم بها إلا ربنا» قلت لنفسي وأنا أفكر في الهرب. أحسستُ بنقرٍ على ظهري فالتفتُ فإذا بها شابة جميلة متلحفة عباءة سوداء، قالتْ:

- عايزة أسألك سؤال يا ست الدَكتورة.

اندهشت من معرفتها بأني طبيبة. وقبل أن أقول شيئا أردفتْ:

- هو الغاز له طعم؟ ولّا السحابة السودا هي اللي عملتْ كده؟ ولّا يكونش النكَد؟ وبأسى:

- مابقيتش عارفة آكل ولا أشرب. بقيت أنوي الصيام واقول أهو يبقالي عند ربنا. صُمت كتير وصَليت ياما... لغاية ما تعبت، ومافيش حاجة بتتعدِّل.

fb/mashro3pdf

أردت أواسيها ولو بكذبة فهمستُ:

- ماعلش. أكيد هنلاقي حل.

ابتسمتْ فسألتها:

- ماشفتيش أم فاروق كنت عايزة أسألها على حاجة. ضحكتْ وهي ترفع ذراعيها لأعلى متضرعة، ثم تلتفتْ نحوي:

-عايزة تسألي أم فاروق! تشخر. السؤال لغير الله مذلّة.

تقهقه وتنحني فتسقط العباءة «يبدو شبكت في مسمار أو خلافه» ويبين تحتها قميص داخلي قصير كاشف لصدرها ووركيها. تلتقط العباءة وتصيح مشوحة بذراعيها وساقيها: لأ.. ابعدوا عني.. لأ. ابعدوا يا كلاب سعرانة...

ويظهر الولد سيد أبوشامة يقترب ويحوم حولي فأحكم قبضتي على حقيبتي بينما أسمعه:

- أنا عارف كل حاجة بس مش هاقول أي حاجة.

وفي اللحظة التي كنت أتوقع أن يمد يده نحو الحقيبة وكنت استعد لصفعه، انثنى متأملًا من بطنه وأخذ يتقيأ، ويلحقه الشيخ بسكب ماء القارورة الذي يتحرك محدثًا انزياحًا للوسخ، ثم تأتي الممسحة لتدفعه حتى بالوعة صغيرة بجانب الرصيف.

كانت امرأة العباءة ما زالت تبكي بجوار الولد عندما ظهرت

fb/mashro3pdf

عجوز البدروم وهتفت لمرآهما: يا كبد أمكم! وأخذتهما «المرأة والصبي» لداخل الزقاق المظلم.

ظهر رجل متوسط العمر آتيا يعدو من طريق المدرسة القديمة وما أن اقترب ما يكفي لوصول صوته إلينا حتى هتف:

-قوم فز ياض منك له. كله يقف انتباه للباشا رئيس النُظار.

ينفجر الرجل الذي يمسح في الضحك ويصيح:

- اخرس يا حرامي الحلّة. باشا مين ونظّار مين؟ ده كان زمان.

يرد آخر «شاب» آت من الزقاق:

- أنا هاستقيل من تدريس التاريخ. مش عارف الباشا ده مين بالضبط؟ كل ليلة بيجيني في المنام. مرة عايش في دور الوطنية وبيناطح في الإنجليز، ومرة شايل كلبشات كبييرة وعَمَّال يكلبش كل اللي يفتح بُقه.

يهتف أبو ممسحة:

-الباشا طظ. محشي رز.

تنفجر الضحكات. لا أعرف من أين أتى كل هؤلاء الناس، وكيف اختلط النور بالظلام بألوان الطيف، ولا كيف انبثق كل هذا القلش والقهقهات والصيحات، ويبدو أن مطرًا تساقط واندمج

fb/mashro3pdf

بالدموع وبتيارات شبيهة بالبول فوق الرؤوس، وأشارت امرأة أتت من خلفي إلى وريقات شفافة تتمايل مع قطرات المطر، وقالت إنها أغشية بكارة جنيات منذورات لأحلامٍ تعِسة..

لا أعرف أيضا كيف أحسستُ بها بجواري فسألتها: إنتي أم فاروق؟ وبعد أسئلة أخرى، ومحاولات منها للإجابة مستعينة بإشارات الوجه وحركات اليدين والأنامل، اكتشفتُ أن أم فاروق خرساء. عدا أنها أشارت للحائط، وقامتْ بالعبور معي امرأة أخرى حتى صرت عند المكان الذي أصيب الرجل الراقد بالمستشفى عنده بنوبة الذعر؛ كان، حسب روايتها، مكلفًا بإعادة طلاء الجدار، راح يسكب الألوان بغزارة على الكلمات وخطوط الوجوه المرسومة قبل شهور وبعد أن محاهم تمامًا أحس فجأة بهم «بلحمهم ودمائهم» يبرزون من داخل الجدار ويتحركون باتجاهه، فهوتْ من يده صفيحة البوية، رمى بالفرشاة وجرى مذعورًا.

ليلة ما يعلم بها إلا ربنا. مع خطوات خروجي تساءلت إن كان هذا هو الشارع المقصود. إن كانت أم فاروق هي أم فاروق فعلا. إن كنت أنا.. بالفعل أنا.. أم...

fb/mashro3pdf

فهرس

رسائل بظهر الغيب ٥
عراء ١٣
قبعة وبدائل أخرى ١٧
غبار ٢٣
حكاية لَوحة ٣١
عنوة ٣٧
برام فخّاري قديم ٤١
السن الذهبية ٤٧
حائط غاندي ٥٧
سويتر جلد بني ٦١
رسم بقلم الرصاص ٦٧
رسالة علياء ٧٣
حرير منزلي ٨١
عفاريت النزلة ٨٧
جلد سلخته الشمس ٩٣
خوذة روميل ٩٩
قطار ١٠٧
خاتم ١١٧
تلصص على أنقاض ١٢٥
مراوغات بسيطة ١٣٥
مداد البحر ١٤١
الشارع ١٤٧

fb/mashro3pdf

في **كيان للنشر والتوزيع**، هدفنا نشر كل إنتاج إبداعي، جودته عالية، وأفكاره أصيلة، في مختلف مجالات الأدب والسياسة والصحافة والفن، باللغة العربية والإنجليزية. نهتم بالمواهب، ونرعاها، ونتيح لها فرصة الوصول للقارئ العربي، مع مراعاة أفضل معايير الجودة والاحترافية في النشر.

رسالتنا في كيان، تشجيع حب القراءة والكتابة في مصر وعالمنا العربي، وتطوير مهارات الإبداع، وتعزيز ثقافة التميز والابتكار. كُتّابنا موهوبون، متمرسون، مصريون، ومن جميع أنحاء الوطن العربي، وإصداراتنا متنوعة، متميزة، مختلفة. دائما نرحب بالكتاب الشباب، والمواهب الجديدة، ونعطي فرصة متساوية للجميع؛ لأن مرادنا هو الارتقاء بفنون الأدب العربي ككل، والوصول بالإنتاجات الابداعية العربية إلى العالمية.

لو تحب **تراسلنا**، لو عندك استفسار، لو حابب ترسل لنا إنتاجك الأدبي، سواء كان رواية، أو شعر، أو مقال، باللغة العربية أو الإنجليزية، ما تتردد تبعت لنا على:

kayanpub@gmail.com

info@kayanpublishing.com

أو زور موقعنا:

www.kayanpublishing.com

وللاتصال الهاتفي:

هاتف أرضي: **0235688678 -0235611772**

هاتف محمول: **01001872290/ 01005248794 / 01000405450**

ويمكنك التواصل معنا إلكترونيًا على الروابط التالية، للاطلاع على كُتبنا، ومتابعة إصداراتنا الجديدة، وأنشطتنا وأنشطة كُتّابنا الثقافية:

Kayan.publishing

kayan-publishing

Kayanpublishing

kayanpubishing

+KayanPubishing

KayanPublishing

fb/mashro3pdf

حائط غاندي

قصص

ضغطتُ الزر مرة ثم أخرى، في الأولى رأيتُ الملامح الأسطورية لبطل، وفي الأخرى ظهرتْ ملامح مجرم، وكلتاهما كانت مختلفة عن صورته العادية بالقميص الأبيض وربطة العنق الرمادية؛ لشد ما بدت المسافة.. شاسعة بين الشاشتين كعالمين متباعدين، أما المسافة بين الحياة والموت.. فلم تكن سوى تلك المليمترات القليلة بين الزناد وإصبع القناص.

9 789778 200096

تصميم الغلاف:
عبد الرحمن الصواف

كيان
KAYAN PUBLISHING

fb/mashro3pdf